عبد العزيز السويّد

لا تدع قشر الموز

قراءة في قصص المطالعة السعودية

توزيع المكتبة التراثية
١٤٢٥هـ

لا ترمِ قشر الموز

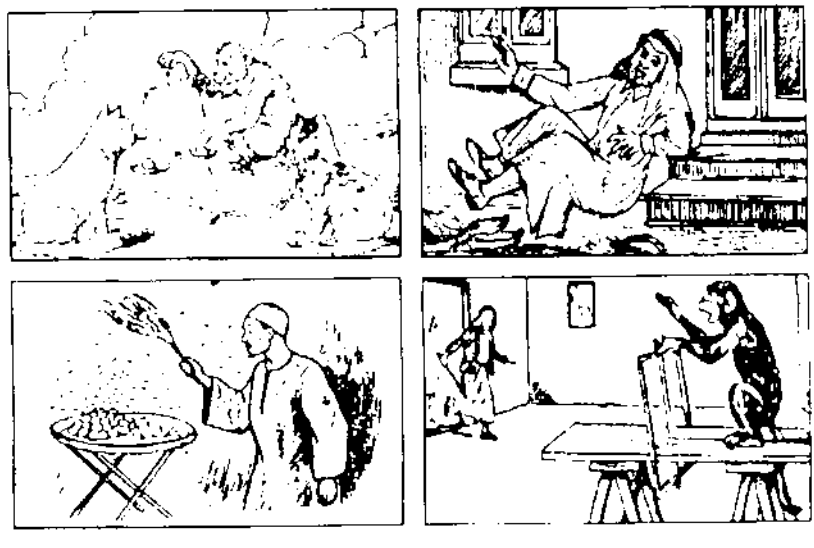

© عبد العزيز بن أحمد السويد، ١٤٢٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السويد، عبد العزيز بن أحمد

لا ترم قشر الموز: قراءة لقصص المطالعة / عبد العزيز بن أحمد

السويد ـ الرياض، ١٤٢٥هـ

عدد الصفحات: ١٤٤ (١٤ × ٢٠سم)

ردمك: ٩ ـ ٩٣١ ـ ٤٤ ـ ٩٩٦٠

١ ـ القصص القصيرة العربية ـ السعودية أ.العنوان

ديوي ٨١٣،٠١٩٥٣١ ١٤٢٥/٢٥٨٧

رقم الإيداع: ١٤٢٥/٢٥٨٧

ردمك: ٩ ـ ٩٣١ ـ ٤٤ ـ ٩٩٦٠

إهداء

إلى مَن أخذ بيدي لحضور الدرس الأول..

ثم غاب...

إلى والدي رحمه الله وغفر له.

مقدمة لابد منها

لابد منها لأنها تجربة جديدة، عادة لا أفضل المقدمات، لكني وجدت ألا مفر منها في هذا العمل.

لقد كان لدرس المطالعة في المرحلة الابتدائية من التعليم العام بالسعودية وقع خاص عليَّ وعلى كثيرين غيري؛ فقد أعطت القصص نكهة، ولونا مميزا ومحببا لهذا الدرس، كثير منها اختزن في الذاكرة، وأثّر بشكل مباشر وغير مباشر في التلاميذ الصغار.. الرجال فيما بعد، فمن يستطيع نسيان «الولد النظيف»، أو «القرد والنجار» و«مَن يعلق الجرس»، ألا تذكر «طه والطبلة»! عندما كان المربون في تلك الفترة يعلموننا حرف الطاء بطه والطبلة والبطة.

جهدت تلك القصص لتعلمنا خصالا كريمة مثل الوفاء والكرم والحكمة والشجاعة...، وقدمت لنا العالم بصورة مثالية للغاية، وهو ما جعل بعضا منا يجد صعوبة في التوافق مع الحياة العملية والعلاقات البشرية البعيدة، في مجملها وحراكها وطبيعتها التنافسية، عن تلك المثاليات.

مما لا شك فيه أن كل مَن اجتهد وعكف وساهم وأدرج تلك القصص في المطالعة كان له مقصد نبيل، أراد أن يزرع في عقولنا خصالا كريمة، وهو ما يحاول فعله كل أب مخلص، فلهم منا صادق الدعاء. وليس من أهداف ما سيأتي نقد لخيارهم ذاك، فليس من خيار سويّ متاح غيره، لكني أعتقد أن القصص تنمو وتكبر وتتغير مثل البشر، بل إنها تقرأ بأكثر من صورة، وتطالعها كل عين بنظرة مختلفة، كما أن القصص عندما تلقى على صغار السن تقولب بقالب خاص، وهي بالنسبة للصغير مثل منزله الأول الذي نشأ وترعرع فيه، عندما يعود له كبيرا يراه أصغر بكثير مما اختزنته ذاكرته، ويستغرب ويندهش من الطرق والسكك التي ضاقت وانكمشت، بينما كانت في زمن مضى فسيحة رحبة تحتضنه مع أصدقاء الطفولة. وهو عندما عاد إلى منزله الصغير، رغم الحنين وعطر الذكريات، لا يمكن له القبول بالعيش فيه مرة أخرى.

يمكنني القول إنني نظرت لقصص المطالعة من هذا المنحى، وها أنا أقرأ وأكتب بعضا منها بعين أخرى تعلمتْ وعملتْ وجرّبتْ. وقد وضعتها في قالب ساخر، لأن لتلك القصص في مخيلتنا سحرا خاصا، كانت مثل أفلام سينمائية في وقت لم نعرف فيه من متع الطفولة سوى

اللعب في الشارع. ومما زادها سحرا وعذوبة أبطالها من حيوانات لا نراهم إلا في حديقة الحيوانات إذا توافرت مثل تلك الزيارة.

كانت شخصيات الأبطال الحيوانات رموزا لم نعِ أهدافها وقتذاك، ومع ذلك نجحت الرموز المحببة في الاستيطان في المخيلة.

ومن نافلة القول أن غالبية هذه القصص مستقاة من التراث، خصوصا كتاب كليلة ودمنة الشهير. وقد قمت بوضع النص الأصلي كما ورد في دروس المطالعة التي اعتبرتها هي الأساس، واعتمدت على طبعات وزارة المعارف «التربية والتعليم حاليا»، للأعوام 1387/1389/1393 للهجرة، وقد كان يطلق عليها في ذلك الوقت «المطالعة السعودية». وهي تجربة جديدة على الكاتب، ولابد من قصور هنا وخلل هناك. أرجو أن يجد فيها القارئ ما يستحق عناء القراءة، ودفع الثمن؛ فهي كما تعلمون لا توزع مجانا بل تباع. والله ولي التوفيق.

عبد العزيز

المملكة العربية السعودية

قررت وزارة المعارف تدريس هذا الكتاب في مدارسها وطبعه على نفقتها الخاصة

المطالعة السعودية

للسنة الثانية الابتدائية

١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م

اَلْقِطَّانِ وَالقِرْدُ

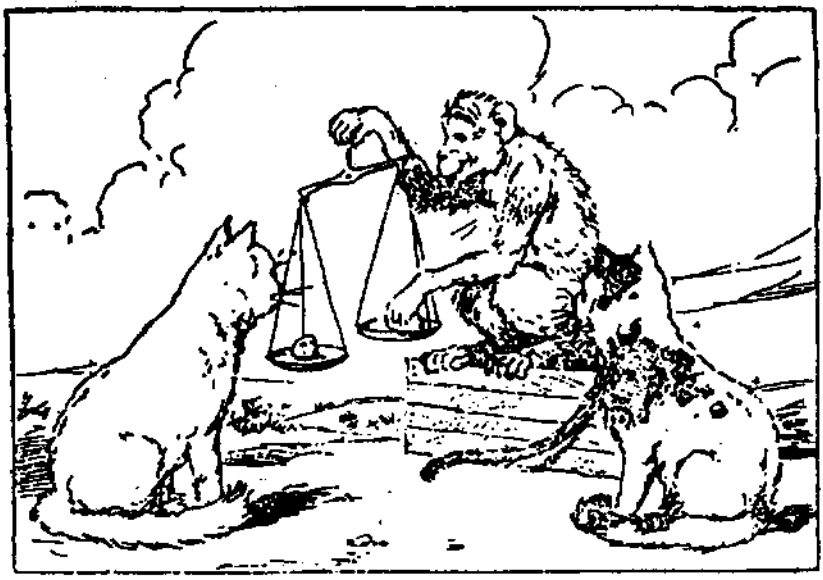

اخْتَطَفَتْ قِطَّانِ قِطْعَةَ جُبْنٍ ، وَاخْتَلَفَتَا فِي قِسْمَتِهَا ، فَذَهَبَتَا إِلى قِرْدٍ لِيَقْسِمَهَا بَيْنَهُمَا ، فَقَسَمَ اَلْقِطْعَةَ قِسْمَيْنِ : أَحَدُهُمَا كَبِيرٌ وَالآخَرُ صَغِيرٌ ، وَوَضَعَ كُلاًّ مِنْهُمَا فِي كِفَّةِ مِيزَانٍ ، فَرَجَحَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى اَلأُخْرَى . فَأَكَلَ مِنَ اَلقِطْعَةِ اَلْكَبِيرَةِ حَتَّى صَارَتْ أَصْغَرَ مِنَ اَلأُخْرَى ، ثُمَّ وَضَعَهُمَا مَرَّةً ثَانِيَةً فِي اَلْمِيزَانِ ، فَزَادَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى اَلأُخْرَى ، وَاسْتَمَرَّ يَأْكُلُ مِنْ كُلِّ قِطْعَةٍ حَتَّى كَادَ أَنْ يَأْكُلَ اَلْقِطْعَتَيْنِ .

فَقَالَتْ لَهُ ٱلْقِطَّتَانِ : نَحْنُ رَضِينَا بِهٰذِهِ ٱلْقِسْمَةِ ، فَأَعْطِ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنَّا قِطْعَةً .

فَقَالَ لَهُمَا ٱلْقِرْدُ : ٱلْبَاقِي أَجْرٌ لِلْقِسْمَةِ .

فَنَدِمَتِ ٱلْقِطَّتَانِ عَلَى تَنَازُعِهِمَا ، وَرَجَعَتَا بِٱلْخَيْبَةِ وَٱلْحِرْمَانِ .

عادت القطتان تجران أذيال الخيبة الطويلة، كان الاستياء والقهر باديين عليهما.

بأسى قالت القطة نياو: أنت السبب، طمعك جعلنا نبيت جائعتين.

ردت القطة مياو: بل هو طمعك أنت، لقد رفضت أن أقوم بالقسمة، ثم مَن الذي خطف قطعة الجبن من المطبخ؟ ألم أخاطر بحياتي لأجل هذا العشاء؟ ثم ها هو يذهب لبطن القرد الماكر؟ كل هذا لأنك جشعة نهمة، ألا ترين كبر بطنك؟

توقفت نياو عن المشي واستدارت قائلة: نعم أنت من خطف الجبنة من المطبخ، ولكن من هو الذي قام بحراستك، ألم أحذرك في الوقت المناسب من ربة البيت، ليتني صمت، لكنت ذقت طعم العصا الكبيرة، لربما كان طعمها ألذ من الجوع، وضحكت بمرارة.

استمر كيل التهم بين القطتين، كل واحدة منهما تصرّ على أن الأخرى هي سبب خسارة قطعة الجبن، وفي الطريق شاهدتا الضبّ جالسا أمام جحره، وعيناه نصف مغمضتين، أبو حسل أكبر ضب في هذه البقعة، تعوّد الجميع منه الصمت، لا يتكلم إلا إذا بادره أحد بالكلام ويرد دائما على قدر السؤال.

قالت نياو لمياو: هذا أبو حسل لماذا لا نشكو له حالنا ونرى رأيه لنعرف من منا المخطئة؟

قصت نياو على الضب قصتهما مع القرد، والخلاف الذي نشأ بينها وبين صديقتها مياو، وطلبت منه الحكم.

سأل الضبّ الكبير وهو لا يسأل في العادة، قائلا: كيف حصلتما على قطعة الجبن؟

بادرت مياو وروت له جهودهما في سرقة قطعة الجبن من مطبخ المنزل المطل على الوادي والخطر الذي أحدق بهما من ربة البيت.

ردّ الضبّ قائلا: ومن أين حصلت ربة البيت على الجبنة؟

صرخت نياو ما هذا السؤال؟.. من البقرة بالطبع.

بهدوء رد الضب: والبقرة بقرة مَن هي؟

بصوت واحد متبرم قالت القطتان: البقرة بقرتها هي؟

وبهدوء يحسد عليه قال الضب: إذن ليس لكما حق في قطعة الجبن، لقد ذهبت من حيث جاءت.

قالت مياو: حسنا فكيف يحصل القرد على قطعة الجبن والبقرة ليست له؟

أجاب الضب: وجود أمثالكما يتخم بطون القرود!

بادرت نياو ساخرة: إذن أيها الحكيم ما ذنب ربة البيت لتخسر قطعة الجبن؟

بهدوء قال الضبّ وهو يدخل إلى جحره: ذنبها أنها أهملت تأديبكما.

المأكولات القذرة

خَرَجَ سَمِيرٌ مَعَ شَقِيقِهِ ٱلصَّغِيرِ مِنَ ٱلْمَدْرَسَةِ ، فَوَقَفَ شَقِيقُهُ ٱلصَّغِيرُ عِنْدَ أَحَدِ ٱلْبَاعَةِ ٱلْمُنْتَشِرِينَ أَمَامَ بَابِ ٱلْمَدْرَسَةِ لِيَشْتَرِيَ شَيْئاً مِمَّا يَعْرِضُونَهُ ، فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ أَخُوهُ سَمِيرٌ قَائِلاً: مَهْلاً يَا أَخِي ، فَإِنَّ هُنَاكَ بَائِعاً آخَرَ يَبِيعُ مِثْلَ هٰذِهِ ٱلْحَلْوَى فِي آنِيَةٍ نَظِيفَةٍ ، فَلَمَّا ٱبْتَعَدَا عَنِ ٱلْبَائِعِ قَالَ لأَخِيهِ يَنْصَحُهُ:

إِنَّ هٰذَا ٱلْبَائِعَ قَذِرٌ فِي جِسْمِهِ وَمَلاَبِسِهِ وَفِي حَلْوَاهُ ٱلَّتِي يَعْرِضُهَا لِلْغُبَارِ وَالأَوْسَاخِ وَالذُّبَابِ وَلاَ يَصُونُهَا ، لِهٰذَا فَإِنَّهَا مَعَ قَذَارَتِهَا ٱلَّتِي تَشْمَئِزُّ مِنْهَا ٱلنُّفُوسُ ، تُسَبِّبُ ٱلأَمْرَاضَ ، فَإِذَا مَا أَرَدْتَ يَا شَقِيقِي أَنْ تَشْتَرِيَ شَيْئاً مِنَ ٱلْمَأْكُولاَتِ فَٱبْحَثْ عَنِ ٱلْبَائِعِ ٱلنَّظِيفِ . ثُمَّ صَحِبَ شَقِيقَهُ إِلَى بَائِعٍ نَظِيفٍ ، فَٱشْتَرَى لَهُ مِنْ عِنْدِهِ .

الزمان بعد عشرين عاما.

في زاوية غرفته الصغيرة جلس المعلم سمير إلى مكتبه المنزلي، كتاب المطالعة مفتوح أمامه على درس «المأكولات القذرة»، يحاول المعلم سمير أن يشرح دروسه للتلاميذ بصورة مبتكرة، دفعا للملل عن نفوس الصغار، دائما ما يستعين بالصور والرسوم وأحيانا بأشرطة الفيديو، أصبح معروفا بكثرة الأدوات التي يحملها معه من فصل إلى آخر. صار مادة للسخرية مرة، وللغيرة مرات من بعض زملائه المعلمين، أحدهم أطلق عليه متهكما لقب حامل الأثقال.

أخذ سمير في قراءة قصة «المأكولات القذرة» مرة بعد مرة، يفكر باحثا عن وسيلة جديدة ليرسخ في أذهان التلاميذ خطورة المأكولات القذرة، تناول فنجان الشاي فطار ذباب من على حافته، طرد سمير الذباب بعيدا، لكنه مثل كل ذباب عاد وبإلحاح شريك مؤسس في فنجان الشاي، وفي كل مرة يذب سمير الذباب يعاند الأخير، فلا يبتعد كثيرا، بل ينتظر انصراف المعلم إلى كتابه ليقع مرة أخرى يعبّ من السائل الحلو. انتبه سمير لعودته، فتح أحد حوافظ المكتب وأخذ منشة بلاستيكية، لكن الذباب بقي على حافة الفنجان، طرده سمير بيده ثم لاحقه بالمنشة في الهواء من دون إصابة مباشرة.

«المهم أنه ابتعد».. قال سمير لنفسه، وعاد لقراءة الدرس. دوّى طنين في أذنه، وكأن الذباب يحتج، ثم صمت الطنين، لكن سمير أحس بأن الذباب وقع على شحمة الأذن، وبهدوء وحذر اقتربت راحة يده اليسرى من أذنه وقبل أن يطبق عليها سمع صوتا يناديه:

أستاذ سمير! أستاذ سمير!

صوت قادم من قاع سحيق، من بعيد لكنه واضح المعالم، التفت فلم يرَ أحدا. في مثل هذا الوقت المتأخر تكون والدته نائمة، أما شقيقه الأصغر فهو متخشب، مثل كل ليلة، أمام القنوات الفضائية داخل الخيمة المنصوبة في فناء المنزل.

لو كان أخوه لاتصل بالهاتف الجوّال.. فكر سمير.

قام من مقعده إلى باب الغرفة، فتحه بلطف ثم تلفت يمنة ويسرة ولم يجد أحدا، وقبل أن يعود إلى مقعده استقر في أذنه دوي الصوت مرة أخرى قائلا: أنا هنا!

من أنت؟.. سأل سمير.

أبو الحدرس.. ردّ الصوت.

ومَن هو أبو الحدرس؟ سأل سمير مرتجفا ودقات قلبه تطرق بعنف سقف حلقه.

من جديد هتف الصوت:

اهدأ يا أستاذ أنا الذبابة.

ثم شاهد سمير ذبابة تطير من على جانبه لتقع أمامه تماما على صفحة «المأكولات القذرة» من كتاب المطالعة، فرك سمير عينيه، ثم تعوّذ برب الفلق من شر ما خلق، واستعاذ برب الناس من الوسواس الخناس، وعيناه قد تجمدتا على ذبابة صغيرة لا تهدأ حركتها.

أريد أن تنصت إليّ قليلا..! قالت الذبابة.

شل لسان سمير وفغر فاه، مصحوبا بصدى ثقيل تسمعه كل مسامات الجسد، جاء صوت الذبابة:

أمضيت ساعات تقرأ في هذه الصفحة، كأني بك شغوفا لإخبار تلاميذك غدا صباحا عن خطر الذباب، أريد أن أختصر عليك الأمر وأطلعك على خطر لا تريد أن تراه، هل تتذكر قصتك مع شقيقك الأصغر والمأكولات القذرة منذ سنين طويلة، لقد أخبرنا بها أجدادنا ذبابة عن ذبابة، لقد مررت قبل قليل على شقيقك الصغير البدين وذقت شراب الكولا الذي لا ينفك يتجرعه واستمتعت بالكاتشب، أما لحم الهامبرجر فلا أطيقه، إننا نفضله نيئا، ومن هناك مباشرة من مطبخ المطعم، هناك الخير كثير، ولا من يذب.

ظل سمير فاتحا عينيه من دون إغماضة واحدة، وبلعاب بدأ يطل من جانب شفتيه كافح سمير شعورا عارما بالغثيان، تذكر ما أكل تلك الليلة، حمد الله أنه لا يطيق الهامبرجر ولا الكاتشب.

صعد كل ما في معدته إلى فتحة المريء.. تجاوزه إلى الحلقوم، وصلت إلى أنفه رائحة كل ما تناول ذلك اليوم، تجشأ وهمّ بالذهاب إلى الحمام، لكنّ ساقيه مثل سراب لا يعتمد عليه، وركبتاه خارج نطاق الخدمة. أما الذبابة فقد كانت تستعد، انشغلت تمسح بيديها خرطومها الطويل ثم تعود لتدعك بهما أحداقها، كأنها تتأكد من شخص الجالس أمامها، حركة عمودية دائرية دؤوب ملحاحة لا تتوقف، ولا تنتهي بحك جناحيها ورفع أحدهما وخفض الآخر.

دوّى الطنين مرة أخرى مستقرا مباشرة في الأذن الداخلية لسمير، وبصوت صادر من برميل بلا قاع تابعت الذبابة:

منعت شقيقك من شراء ما أسميته المأكولات القذرة، لأنها مكشوفة ويدب عليها بعض الأصحاب، هل تخاف من التلوث؟ أي تلوث يا أستاذ، انظر إلى حال أخيك الآن؟ هل ترى كل هذه الشحوم المتكورة المتدلدلة على جسده... أصحة هي؟

هل هي التاج الذي ترونه على رؤوس الأصحاء، تاج لا يستقر على الرأس إنه تاج يتزحلق مترجرجا على البطن والعجز، تاج غليظ سميك وثقيل تنوء به الركب!. قالت الذبابة ذلك وهي تضحك، ثم طارت لتلغ في لعاب سمير الذي بدأ يسيل على سطح الطاولة.

جالت في رأس سمير أفكار كثيرة، تماسك رغم خوف سرى في شراييته مثل وميض البرق، وليطمئن همس في داخله بآيات من القرآن الكريم. هل أصابته عين؟ أم سحر؟ هل هذا شيطان تلبس في هيئة ذبابة ليسخر منه؟ ربما هذا نتيجة لجداله الطويل ظهر يوم أمس مع المدير حول متعهد تموين المقصف المدرسي وعمالته غير النظيفة.

شفطت الذبابة خرطومها وطارت لتقع في نفس مكانها الأول، على صورة وجه بائع الماكولات القذرة، ثم عاد صوت الطنين واضحا كما بدأ:

هل قرأت صحف اليوم؟.. سألت الذبابة، ومن دون انتظار للإجابة ومثل مذيع في قناة فضائية قدمت لمستمع واحد أقوال الصحف:

إسعاف مستشفى النشاط:

تسمم خمسين مدعوا في حفل زفاف؟

مصدر في وزارة التجارة:

مداهمة مستودعات حليب أطفال فاسد، ومصادرة كميات كبيرة!

خاص بالجريدة:

إعادة افتتاح مطعم المأكولات النظيفة بعد إقفال البلدية له يوما واحدا.

المطعم وضع لوحة تقول مغلق لتجديد الديكور.

مستثمر وطني:

الدجاج الوطني صالح للاستهلاك الآدمي ولا صحة لشائعات السلامونيلا.

تاجر وطني:

اللحوم الحمراء بريئة من الأمراض والهرمونات.

جنون البقر لا يصل لبقرنا لأنها عاقلة ومهيّأة نفسيا.

خبير في المواصفات والمقاييس:

الصبغات والنكهات الصناعية ليست مضرة ولا تسبب السرطان.

رئيس بلدية حي الصحة:

مصادرة ثلاثة أطنان من علب الفاصوليا الفاسدة.

جريدة الحقيقة:

مداهمة مصنع ضخم للمخللات الفاسدة في حي شعبي.

بسخرية علقت الذبابة: هذه أقوال الصحف لهذا اليوم، هل تريد أقوالها في الأمس؟ ثم أمطرته بوابل من الأسئلة..

أرأيت يا استاذ.. حفظتم المأكولات في علب معدنية وبلاستيكية وورقية، وهذه هي النتيجة، لم يلمسها خرطوم ذبابة، فمن أين تلوثت يا ترى؟

هل سألت نفسك مرة وأنت المعلم؟ إذن لا تلقِ اللوم على الذباب، الذباب يا أستاذ سمير يتغذى، نحن ندب ونسعى، ولا نقصد تلويث طعامكم، ولا نجني شيئا مما يصيب صحتكم، هذا ما لزم فقط لتصحيح معلوماتك عن أسباب التلوث.

طارت الذبابة خارجة من الغرفة. فكر سمير أنها ذاهبة إلى برميل الزبالة، لكن الصوت جاءه مرة أخرى

قائلا: لا تنسَ موعد شقيقك مع الطبيب! وإذا كنت لاتزال تكره الذباب فقل له أن يختار مطعما آخر.

جيئة وذهابا قضى سمير ليلته يتردد على الحمام، عرف قيمة هذا المكان، وتذكر أن العرب أسموه بيت الراحة، اعتصر كل ما في معدته حتى أحس بها في فمه، عند الصباح الباكر دخل إلى الفصل متثاقلا بعينين حمراوين وذهن مشوش، ومن دون أن ينظر إلى التلاميذ سألهم: ما هو درس اليوم؟

رد الفصل بصوت واحد: «المأكولات القذرة» يا أستاذ.

التفت سمير إلى تلاميذه ورد عليهم قائلا:.. خطأ.

استدار إلى لوحة الكتابة وبقلم عريض خط: درس اليوم هو «الضمائر القذرة».

من يعلق الجرس

عَقَدَ ٱلفِيرانُ جَلْسَةً سِرِّيَّةً ، لإيجَادِ حِيلَةٍ يَتَخَلَّصُونَ بِهَا مِن أَذَى ٱلْقِطَّةِ وَقَتْلِهَا لِكُلِّ مَنْ دَخَلَ ٱلْمَطْبَخَ مِنْهُمْ ، فَنَهَضَ فَأْرٌ ٱشْتَهَرَ بَيْنَهُمْ بِالغَزْوِ عَلَى ٱلْمُدَّخَرَاتِ ، وَقَرْضِ المَلَابِسِ وَقَالَ :

ٱلرَّأْيُ عِنْدِي أَنْ نَهْجُمَ كُلُّنَا هَجْمَةً وَاحِدَةً عَلَى ٱلْقِطَّةِ وَنَقْتُلَهَا .

فَوَقَفَ كَبِيرُ الفِيرَانِ وَقَالَ

أَنَا أُوَافِقُ عَلَى رَأْيِكُمْ وَلَكِنْ بِأَيِّ سِلَاحٍ تُقَاتِلُونَ ٱلْقِطَّةَ وَلَيْسَ لَكُمْ أَظَافِرُ ؟ فَٱلْأَحْسَنُ أَنْ نُعَلِّقَ جَرَساً فِي رَقَبَةِ ٱلْقِطَّةِ

وَهِيَ نَائِمَةٌ فَإِذَا مَشَتْ رَنَّ ٱلْجَرَسُ وَهَرَبْنَا مِنْ وَجْهِهَا بِأَمَانٍ

فَاسْتَحْسَنَ ٱلْجَمِيعُ هٰذِهِ ٱلْفِكْرَةَ ، وَلٰكِنَّ أَحَدَ ٱلْفِيرَانِ وَقَفَ قَائِلاً :

ٱلْقَرَارُ جَمِيلٌ وَلٰكِنْ مَنْ يُنَفِّذُهُ ؟ مَنْ يُعَلِّقُ ٱلْجَرَسَ فِي رَقَبَةِ ٱلْقِطَّةِ ؟

فَقَامَ كَبِيرُهُمْ وَضَرَبَ عَلَى صَدْرِهِ وَقَالَ :

« أَنَا أُعَلِّقُ ٱلْجَرَسَ » .

وَلٰكِنْ مَا إِنْ أَتَمَّ هٰذَا الفَأْرُ كَلَامَهُ حَتَّى هَجَمَتْ عَلَيْهِمُ القِطَّةُ ، فَتَفَرَّقَ جَمْعُهُمْ وَعَلَى رَأْسِهِمْ كَبِيرُهُمُ ٱلَّذِي ضَرَبَ عَلَى صَدْرِهِ وَاعِداً بِتَعْلِيقِ ٱلْجَرَسِ فِي رَقَبَةِ ٱلْقِطَّةِ .

بعد أن جمعت الفئران شتات أذيالها التي بعثرها هجوم القطة العنيف، عقدت اجتماعا جديدا دعت له فئران المنازل المجاورة التي أرسلت مندوبين عنها لحضور هذا الاجتماع الخطير، وتم تسجيل وقائعه المهمة في محضر كتب على كرتون جبن تلاشت رائحته، وقد تولى الفار المشاغب إدارة الاجتماع وصبّ جام غضبه في كلمته الافتتاحية على الفار الكبير الذي كان أول الهاربين، وذكّر

الحاضرين، وذيله يهتز من الحماس، بحادثة ضربة الصدر، وقال إن التخاذل الذي ظهر به الفأر الكبير يلطخ سمعة جميع الفئران، وأنه لولا خوفه من سوء الفهم لاتهمه.. بالجبن! وطالب بأن يصدر الاجتماع بيانا استنكاريا يندد فيه بتلك التصرفات الحمقاء وتعريضه بقية الفئران للخطر. وعلق فأر مسن قائلا: إن لا أحد يريد سماع صوت الجرس فكيف بمن يحمله ويعلقه في رقبة القطة؟

ثم توالى إلقاء كلمات اللوم على كبير الفئران وهو جالس على علبة تونة فارغة في الصف الأول صامتا يفكر، انتهت الكلمات وساد هدوء مشوب بالحذر.

فجأة طلب كبير الفئران من المجتمعين الهدوء لشرح وجهة نظره، وبعد أن نفض غبارا عالقا على شعر صدره، رفع ذيله وتنحنح ثم قال إنه في الحقيقةلم يكن هاربا عندما تقدمهم بعد هجوم القطة المفاجئ، حتى ولو بدا لهم الأمر على هذه الصورة، ولكنه ذهب مسرعا ليحضر الجرس الذي وعد بتعليقه في رقبة القطة. وأعاد ضرب صدره مرة أخرى ملتزما بوعده القديم، بل إنه ضرب صدره هذه المرة بيديه الاثنتين، ولم ينس أن يعلن مسامحته وصفحه عن كل الفئران العزيزة على صدره، رغم أنها أثخنته لوما وتجريحا وسخرية. بعد هذا الإيضاح استحت الفئران على شواربها،

وسادت همهمة بدأت على إثرها تلوم بعضها البعض، وتوجهت إلى كبيرها بالاعتذار، مطالبة بنسيان ما مضى، وأكدت مجموعة الفئران ثقتها الكاملة بسعة صدر كبيرهم، وتمنوا أن يماثل هذا الاتساع قوة صدره وقدرته على تحمل ما يكيله له صاحبه من الضرب.

ضرب كبير الفئران على صدره بقوة أكبر هذه المرة حتى أنه من قوة الضربة شهق وسعل سعالا حاول أن يخفيه بقوله بصوت مرتفع إنه سيكون وفيا للوعد الذي قطعه على صدره.

لكن الفأر المشاغب الذي تعود على غزو المدخرات وقرض الملابس هبّ فجأة مقاطعا، وقال بخبث إنه ذاهب ليشاغب القطة مرة أخرى حتى تلحق به، وإن ذلك فرصة جديدة لكبير الفئران ليعلق الجرس. أوقفه كبير الفئران بضربة على أنفه، وقال: انتظر!

رد الفأر المشاغب: لم؟

أجاب كبير الفئران قائلا: لنحضر الجرس أولا.

انعقدت ألسنة الفئران وجو من الدهشة يلفها، وسأل بعضها بصوت مرتفع لا يخلو من خيبة: ألا يوجد جرس؟!

أجاب كبير الفئران بهدوء وهو يمسح على شعر

صدره الرمادي قائلا: يجب أن نجهز جرسا يليق بقطتنا ويكون من النوع الجيد المتين ليتحمل ركض القطة السريع، وهذا النوع مكلف مثلما تعلمون. ثم ضرب على صدره وهو يقول بلهجة الأمر: هيا.. ليتبرع كل واحد منكم بقطعة جبن.

الغلام والكلب

كانَ لِرَجُلٍ غُلَامٌ صَغِيرٌ ، ذَهَبَتْ أُمُّهُ يَوْماً وَتَرَكَتْهُ مَعَ أَبِيهِ فِي ٱلبَيْتِ ، فَجَاءَ رَسُولُ ٱلْمَلِكِ إِلَى أَبِيهِ يَطْلُبُهُ ، فَلَمْ يَجِدِ ٱلرَّجُلُ مَنْ يَتْرُكُهُ لِحِرَاسَةِ ٱبْنِهِ غَيْرَ كَلْبِهِ ٱلَّذِي رَبَّاهُ فِي بَيْتِهِ حَتَّى أَصْبَحَ يُحِبُّهُ ، كَوَلَدِهِ : فَأَغْلَقَ ٱلرَّجُلُ بَابَ ٱلغُرْفَةِ وَذَهَبَ مَعَ رَسُولِ ٱلْمَلِكِ

خَرَجَتْ حَيَّةٌ سَوْدَاءُ مِنْ بَعْضِ شُقُوقِ ٱلبَيْتِ وَدَنَتْ مِنَ ٱلغُلَامِ لِتَقْتُلَهُ فَضَرَبَهَا ٱلكَلْبُ ، وَقَطَّعَهَا قِطَعاً صَغِيرَةً فَتَلَوَّثَ فَمُهُ مِنْ دَمِهَا .

وَلَمَّا جَاءَ ٱلرَّجُلُ ، ٱسْتَقْبَلَهُ ٱلْكَلْبُ مُشِيراً لَهُ بِمَا صَنَعَ ، فَلَمَّا رَأَى ٱلرَّجُلُ فَمَهُ مُلَوَّثاً بِالدَّمِ ظَنَّ أَنَّهُ قَتَلَ وَلَدَهُ . فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ ، قَبْلَ أَنْ يَتَحَقَّقَ فَضَرَبَهُ عَلَى رَأْسِهِ ضَرْبَةً أَمَاتَتْهُ .

ثُمَّ دَخَلَ ٱلْبَيْتَ ، فَرَأَى ٱبْنَهُ لَمْ يُصَبْ بِأَذَى ، وَوَجَدَ إِلَى جِوَارِهِ حَيَّةً مَيِّتَةً مُقَطَّعَةً ، فَعَلِمَ ٱلْقِصَّةَ وَظَهَرَ لَهُ سُوءُ فِعْلِهِ بِتَسَرُّعِهِ فِي قَتْلِ ذٰلِكَ ٱلْحَيَوَانِ ٱلْأَمِينِ ، وَنَدِمَ نَدَماً شَدِيداً

ثُمَّ جَاءَتْ أُمُّ ٱلْغُلَامِ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ ٱلْحَالِ ، فَأَخْبَرَهَا ٱلرَّجُلُ ٱلْخَبَرَ ؛ فَحَزِنَتْ عَلَى قَتْلِ ٱلْكَلْبِ ٱلْأَمِينِ ، وَلَامَتْ زَوْجَهَا عَلَى فِعْلِهِ .

حصل الكلب الأمين على مئة في المئة من تعاطف كل من قرأ أو سمع بالقصة، في حين استحق الرجل النسبة نفسها.. ولكن من اللوم. مع هذه الحكاية دلفت «لو» بقوة إلى أفئدة التلاميذ، حكاية «الغلام والكلب»، كانت أفضل كبسولة تحتضن مسحوق «لو» السحري، لو أن الرجل انتظر وتثبت من ظنه الآثم، لو أن الكلب ترك عنه التباهي

ولم يتسرع لملاقاة الرجل، لو أن الكلب اختبأ إلى أن يتحقق الأب من سلامة ابنه، لو..، ولو..، بعضهم قال ساخرا: لو أن الكلب اغتسل لربما بقي على قيد الحياة مكرما ونظيفا، آخر قال: لو أن الطفل بكى في تلك اللحظة كما يبكي في العادة، لو.. ما أكثر ما تقافزت في أرجاء فصل رابعة جيم.

فضول التلاميذ لم يتوقف عند حد، واحد منهم غرد خارج السرب،كان ذلك التلميذ ضئيل الجسم يلح بقوه في رفع إصبعه، وكلما منحه المعلم الفرصة للسؤال طرح سؤالا واحدا شغل ذهنه، ماذا كان يريد رسول الملك؟ ولم يحصل على إجابة، في كل مرة يشيح المعلم بوجهه عنه وبعصبية يقرع سطح الطاولة بالعصا آمرا التلاميذ بالسكوت بقوله: تبّعوا!

قاتل الله التسرع، رأى بعض التلاميذ في تصرفات مراقب المدرسة كثيرا من التسرع، خيل لبعض منهم أنه يشبه الرجل صاحب الكلب، قد يكون هو، هذا يحدث يوميا، عند مصادفته لهم في أروقة المدرسة، يضربهم أولا بتلك الخيزرانة التي لا تفارق يده ثم يسالهم عن أعذارهم، كثيرا ما كان يضربهم في لحظة إجابتهم عن أسئلته، أحيانا وبعد أن يستمع إلى العذر قد يكرر الضرب أو يكتفي بأن يأمرهم بالذهاب إلى الفصل، وليس هناك من أم لتلومه.

لو.. أصبحت حاضرة أكثر من أي وقت مضى، أصبح لها طعم تشربته عقول الصغار وصاروا يتكئون عليها كلما احتاجوا إلى عكاز. أما الكلب فكان كلبا فريدا، يختلف اختلافا كاملا عن الكلاب التي يطاردها التلاميذ في طرقات الحي كل مساء، ولأنه كلب نادر فقد مات، لو حدثت هذه الحكاية في بلاد الغرب لأقيمت جنازة رسمية للكلب الأمين، وسرادق كبير للعزاء، ولازدحم بريد العائلة الصغيرة ببطاقات التعازي المعبرة، وكان الكلب سيحصل على قبر يليق بأمانته، لكنه كلب عربي.

ماذا فعلوا بجسده بعد أن مات مقتولا؟!.. لا أحد يعرف، ولا حتى معلم المطالعة وهو عند التلاميذ أكثر الناس فهما، أليس هو راوي الحكايات الأول؟

دعونا من الماضي.. لننتقل سويا إلى المستقبل..

الغلام أصبح شابا، ندخل إلى منزل الأسرة الصغيرة، نرى صور الكلب الأمين تحتل معظم فراغات الجدران، حضور الكلب مازال قويا بعد كل هذه السنين، صوره في الممرات، غرف النوم، وحتى دورات المياه، وتجد هذه الصور عناية فائقة من الأم، كانت أم الغلام سابقا الشاب حاليا، أكثر أصدقاء الكلب حزنا عليه، لم يفارقها منظره

وهو مسجى ملطخ بالدماء، بعد أن ضربه الأب القاسي المتسرع، لم تصدق أنها فقدت بسبب العجلة والرعونة كلب العائلة الأمين، الكلب الذي أنقذ حياة ابنها الوحيد، بل إنها ترى الكلب كلما رأت ابنها، تراه وهو يبصبص ويلعب بسرور، أما عندما تطالع وجه زوجها فهي تراه ملطخا بدماء الكلب والثعبان السام متناثرا قطعا صغيرة في زاوية من البيت، الكلب حاضر في قلبها، أما إذا ذكرت القصة فإنها لا تستطيع منع دموعها حتى ولو كانت تجلس مع امرأة أخرى.

اجتهد الأب في تخطي محنة مقتل الكلب، حاول كثيرا، اشترى كلابا أخرى من دون فائدة، جرب الانتقال من المنزل القديم لعل الأسرة الصغيرة تنسى، كل هذا لم يجد نفعا، دم الكلب سيطر على الأسرة وصبغ حياتها بلونه القاني، أما الزوجة فما إن تقع عيناها على عيني زوجها حتى يتراءى لها في بث مباشر مشهد مقتل الكلب وبقعة الدم مازالت رطبة.

بعد أن وضع نظارته السميكة على الطاولة قال الطبيب النفسي: إنها «عقدة الكلب»، زوجتك مصابة بعقدة الكلب.

بقي الزوج صامتا وخرج من عيادة الطبيب صامتا،لم يعد يستطيع فعل شيء، فقد بلع لسانه منذ زمن بعيد وتضخمت أذناه حتى أصبح يشعر بثقلهما، سياط الزوجة تلسع فؤاده وتلك الجاهزية الدائمة لديها أجبرت لسانه على الضمور فانحشر إلى الداخل، ومع تكيف أذنيه واتساعهما حفظ عن ظهر قلب كل عبارة ترددها:

احرص..، تأكد..، لا تنس ما فعلت بالكلب!

ليس كل الناس كلابا تملكها وتقتلها؟!

حتى لو أراد زوجها عمل شيء ما، تناول غرض مثلا، تكون يدها على قلبها، لا تستطيع منع نفسها من التحذير.

احرص لا يقع!..، انتبه لا يتلف!..، لولاك لما...، أنت لا تصلح لهذا الأمر! أما أمام الضيوف فإنها لا تنفك عن سرد خصال الكلب الفقيد، ولا يخلو الأمر بين جملة وجملة من التفاتة تتطلع فيها إلى عيني زوجها.

هي في قرارة نفسها تحب زوجها حبا جما، هي تقول ذلك. لكنها تخاف من أخطائه وصورة الكلب لا تفارقها...، كان كلبا ليس كالكلاب.

الرجل تحول إلى جسد خاو، روحه امتصت، وعزيمته توارت تحت ركام سياط اللوم، أصبح مهزوزاً متردداً، حتى

ساقاه وكتفاه صارت أكثر رخاوة، لحقت به لعنة الكلب وأحاطت بمصيره إحاطة زوجة غيورة بزوجها.

ترسبت في داخل الرجل كآبة لزجة، شخصها طبيبه النفسي بقوله: إنه مرض حزن الكلب.

هل تعتقد أن في الأمر مبالغة كاتب؟

أنت مخطئ.. خذ مثلا، عندما دخل عليه ابنه وهو يكاد يطير فرحا ليخبره بتخرجه في الجامعة كاد يبتهج، بالفعل هو كاد.. لكنه لما نقل بصره ووقعت عيناه على زوجته تذكر الكلب فابتلع فرحته، أخفاها في صدره وهمهم.. مبروك، لم يعد هناك أمر يفرحه ولا خبر يحقق له السعادة، اللهم إلا أمر وحيد، لكنه في خانة غير الممكن... عودة الكلب، ولأنه يعلم أن هذا مستحيل، بل لا يمكن التحدث عنه حتى لا يتهم بالجنون، هداه تفكيره إلى طلب المسامحة من الكلب.. فكرة جيدة ولكن كيف؟ قرر أن يواجه ذاته، قراره هذا جاء بعد نصيحة طبيبه النفسي، الطبيب قال له إن المشكلة في داخلك، عقدة ولن تحل إلا بأصابعك أنت وحدك، الطبيب ذكر الأصابع لأن الرجل يطقطق بها طوال الوقت.

فكر في التخاطر مع الكلب وهو في العالم الآخر ثم

قنع بالأحلام، بدأت أحلامه أولاً تستضيف الكلب، بدا هذا الأخير غاضبا مزمجرا، حتى إن ملامح وجهه لم تختلف كثيرا عن وجه زوجته، اكتشف أن هناك تطابقا مرعبا في الأنف والأذنين، أما العينان فتحملان نفس النظرة وبلا قاع، شيء من التماثل والتداخل ساد للحظة بعض التقاطيع، كأنما أحدهما يتحول متموجا إلى الآخر، تعددت أحلامه مع الكلب، لكن حلم ليلة الخميس كان حلما مختلفا، ليس من السهل وصفه.

بعدما غط في النوم تلك الليلة، جاءه الكلب كالعادة وجلس قبالته محدقا في عينيه، وطلب الرجل مثل كل ليلة أن يسامحه كلبه الميت، رق قلب الكلب لصاحبه وحلف له أيماناً مغلظة أنه قد سامحه وانتهى الأمر، ولم يعد يحمل في قلبه الحيواني ذرة من ضغينة، لم يكتف الرجل بذلك، فعندما رغب الكلب في المغادرة أصر الرجل على التأكد من أنه سامحه بالفعل، ويبدأ بالتضرع وبصوت مرتفع يدعو للرثاء صاح: هل سامحتني يا كلبي العزيز؟ كرر الكلب الأيمان له أنه قد سامحه، قالها الكلب بكل لطف وتودد، وبصبص كما عهده وذيله بين رجليه.

تلك الليلة والرجل سعيد ومبتهج في حلمه، شعر ببرودة تسري في أطرافه، استيقظ من نومه والابتسامة

على وجهه، من الحالات النادرة أن يستيقظ من نومه وهو على هذه الحال، كان منشرح الصدر، أخيرا انزاح عن كاهله حمل ثقيل، وبدأت تبتسم له الأيام، عندما فتح عينيه وجد أنه ينام من دون الغطاء، كان الغطاء الثقيل قد تكور على جسد زوجته، وبعفوية وهدوء سحب طرف اللحاف، استيقظت زوجته مذعورة، التفتت إليه وألصقت وجهها في وجهه وصاحت بغضب: ماذا تفعل، هل تعتقد أنني كلب؟

اَلغُرَابُ والثَّعْلَبُ

أَبْصَرَ اَلثَّعْلَبُ غُرَاباً عَلَى شَجَرَةٍ عَالِيَةٍ وَفِي فَمِهِ قِطْعَةٌ مِنَ الجُبْنِ اللَّذِيذِ ، فَسَالَ لُعَابُهُ وَاشْتَاقَتْهَا نَفْسُهُ ، وَفَكَّرَ فِي حِيلَةٍ يَخْدَعُ بِهَا اَلغُرَابَ لِيَأْخُذَ مِنْهُ الجُبْنَ .

فَقَالَ لَهُ : يَا سَيِّدَ اَلطُّيُورِ ، إِنِّي لَمْ أَرَ أَجْمَلَ مِنْكَ مَنْظَراً وَلَا أَبْهَجَ شَكْلاً ، وَلَا أَعْذَبَ صَوْتاً ، فَهَلْ لَكَ يا عَزِيزي أَنْ تُسْمِعَنِي صَوْتَكَ اَلْمُطْرِبَ الجَمِيلَ ؟ فَاَغْتَرَّ اَلْغُرَابُ بِكَلَامِ الثَّعْلَبِ وَصَاحَ ، فَسَقَطَتْ قِطْعَةُ اَلْجُبْنِ مِنْ فَمِهِ ، فَالْتَقَطَهَا اَلثَّعْلَبُ وَانْصَرَفَ قَائِلًا : غَنَّ أَيُّها اَلْأَحْمَقُ لِغَيْرِي فَإِنِّي زَاهِدٌ فِي غِنَائِكَ رَاغِبٌ فِيمَا أَهْدَيْتَ إِلَيَّ مِنْ غِذَائِكَ .

بينما كنت أقرأ هذه القصة مرة أخرى، بعد زمن طويل من أول قراءة لها، وأحدّق في الصورة التي التصقت بالذاكرة، وبالتحديد في وجه الثعلب الذي لم يظهر منه سوى جانب واحد، إذا به يلتفت ويطلب مستعطفا الإذن بالحديث، وقبل أن أفيق من الدهشة فضلا عن أن أوافق أو أرفض، إذا به يخرج من الصورة ويقعي جالسا أمامي بشحمه ولحمه محدقا بعينيه الذابلتين وهو يهمس بصوت مستكين آسر قائلا.. إنه طوال عمر هذه الصورة ينتظر بشوق ولهفة فرصة مثل هذه. اقترب الثعلب مني وجعل يدور حولي ماسحا فراءه الناعم الجميل والدافئ بقدميّ الباردتين، ثم عاد إليّ وجلس أمامي بأدب جم لم أره في حيوان قط، استغل الثعلب لحظة الدهشة التي عقلت لساني وانهمر في الحديث فقال:

يا سيدي أنا مظلوم كل هذا الزمن وأنتم تتعلمون عني هذه القصة المشوّهة وتصمونني بالغدر والمكر، لقد استمتع البشر بحبك الحكايات عني وفي كل حكاية أقوم بدور الشرير المخادع، لماذا؟ لست أعلم، ثم ماذا في الغراب حتى يجعلونه في دور الضحية، هذه القصة مزيفة، ومحرفة، بل إنهم من فرط الكراهية لجنس الثعالب، قاموا

بتطوير هذه القصة وجعلوا الغراب يسخر مني، ألا تتذكر هذه الحكاية؟

هززت رأسي نافيا معرفتي بحكاية أخرى مطورة.

تابع قائلا «زعموا أن ثعلبا رأى غرابا على الشجرة وفي فمه قطعة من الجبن، فقال له يا سيد الطيور، إني لم أر أجمل منك منظرا، ولا أبهج شكلا، ولا أعذب صوتا، فهل لك يا عزيزي أن تسمعني صوتك المطرب الجميل؟ فقام الغراب بوضع قطعة الجبن تحت جناحه وقال هازئا:

أتعتقد أنني غراب غبي مثل غراب المطالعة؟!

أرأيت إلى أي حد وصل التجني، بربك ما الذي يعجبكم في الغربان؟

مدهش أمر هذا الثعلب الماكر يريد أن يحتال على جميع الغربان، قد يكون هذا الغراب النبيه قرأ بالفعل قصة المطالعة واستفاد من الدرس فزاده فقدان غرابها لقطعة الجبن حذرا على حذره المعروف، وفيما أنا أفكر في هذا كان الثعلب في وادٍ آخر، مجندا كل قواه وحيلته لإقناعي بظلم البشر له.

اقترب مني أكثر وبسط ذراعيه بين قدميّ وأنا أنظر

بإعجاب لذيله الناعم الطويل، ولما شعر بالارتياح تابع حديثه بصوت ثعلبي معسول قائلا:

الحقيقة أن القصة ناقصة، من المؤكد أن لدى الغراب أصدقاء زيفوا الحقائق، وأضاف بصوت أقرب للمواء، إنني أستغرب هذا التعاطف مع الغراب مع أنه طائر قذر ونتن لا يقع إلا على المخلفات الوسخة، كما أنه قرصان طائر يعيش على خطف ما في أيدي البشر المساكين، ثم إنه من الفواسق الخمس التي أمرتم بقتلها، هل تريد أن أذكرك بأن بني جنسك يضحكون على مشيته ويعتبرونه نذير شؤم يتطيرون منه ومن لقائه؟ فلِمَ كل هذه المحاباة له؟

أعجبني إحساس الثعلب بالبشر المساكين، وقبل أن أجيب عن كلامه قاطعني بسؤال مستنكر:

هل سمعت صوته؟ هل سمعت صوتا أقبح من ذاك النعيق، ومع ذلك صدّق سخريتي منه وقولي إن صوته جميل؟ رغم أن صوته لا يختلف كثيرا عن أصوات كثير من المطربين والمطربات في عالمكم، بربك ألا يستحق مثل هذا أن يسحب من لسانه، حتى يصبح ريشه في بطنه؟!

ثم كيف تسنى له أن يصدق أنه سيد الطيور.. الغراب سيد الطيور؟ هذه نكتة سمجة، وهو صدقها، ألا يستحق

مثل هذا الطائر أن ينتف ريشه ويعلق من منقاره ثم يرجم بالحجارة؟ ألا يستحق مثل هذا الدّعي أن يقيد ويسجن أمام شاشة تلفزيون لا تبث سوى قناة رسمية واحدة.

بعد هذه المرافعة العصماء، التي ألجمت لساني وطار لها صوابي، تململت قليلا، لكنه وبمسكنة وأسى ثعلبي أكمل: إنني أدفع ثمن هذه القصة منذ زمن طويل، لقد أساءت لسمعة الثعالب، ووقع اللوم عليّ، ولابد أن تستمع إلى الرواية الحقيقية مني الآن، وسأرويها بأسلوبكم.

اعتدل الثعلب في جلسته وقال:

في الحقيقة والواقع كانت قطعة الجبن لي، خطفها مني الغراب اللص بينما كنت أستريح تحت شجرة تين حتى أنه يمكنك سؤالها! نعم اسألها؟ اسأل شجرة التين، مازالت واقفة هناك على جذعها، أها.. صحيح أنتم البشر لا تستمعون للأشجار عندما تتحدث، لقد اخترعتم أشياء تستمعون منها لأنفسكم، لم يعد لديكم الوقت.. حسنا.. حسنا، عندما فرّ غراب البين بقطعة الجبن خاصتي، لحقت به لأستعيدها، أنا مؤمن بأن لا حق يضيع ووراءه مطالب، لذلك أصررت على اللحاق كنت وراءه تماما كل الوقت، وأنا أ طلب منه أن يعيد جبنتي وهو يرفض.. بل صار يسخر

مني ويتلاعب بأعصابي متنقلا من غصن إلى غصن، وأنا ألحق به، حتى تصلبت رقبتي من شدة ما تابعته وهو يحلق إلى أعلى، كنت خائفا أن أفقده وأفقد قطعة الجبن، أو أخطئ في حق غراب آخر.. لست أدري.. هل كان الغراب الأحمق يعتقد أن قطعة الجبن الصفراء، قطعة من ذهب! ألم يكن يعلم أنه خطف طعامي، فكرت، اجتهدت حتى اهتديت إلى تلك الحيلة لأسترد حقا من حقوقي سلبه غراب قبيح، فلماذا لم يذكروا في القصة أن قطعة الجبن كانت لي أنا، نعم كانت ملكي واستعدتها، أما هو فسارق أحمق متذاكٍ، ألا تعساً لهؤلاء المتذاكين، يكفي مشيته.. هل رأيت كيف يمشي إنه يمشي مثل محتال!

صمت الثعلب قليلا، نظرت إلى الساعة، كانت الثالثة صباحا، حدثت نفسي:

وما علاقتي أنا بكل هذا، أجبر على سماع مرافعة ثعلب مسجون في رسم منذ عشرات السنين، ما الذي جعلني أستل هذا الكتاب القديم، فقط محاولة بحث عن ذكريات تحولت إلى حلم عجيب محسوس، قررت أن أبقى هادئا وأن أعطي الثعلب فرصة، وليتني لم أفعل..

هل هناك من يعطي لثعلب فرصة؟ ويخرج سالما؟

لكنها مواقف لا تحدث كثيرا في الحياة، لو رويتها لأحد لاتهمك بالجنون، ثعلب يتحدث إليك؟ وما علموا أنهم يتحدثون كل يوم إلى ثعالب أقل صراحة ووضوحا.

ساد هواء ثقيل فضاء الغرفة، قررت جعل الحوار أكثر سلاسة، ثعلب محتقن، ومحشور معه إنسان في غرفة مغلقة، ثعلب من دون دعوة، ماذا يمكن أن يفعل وهو المسجون في صفحة مقرر قديم، انتابتني المخاوف.

تصنعت ابتسامة وقلت له: حدثني عن سر سحر الجبن، الكل يبحث عنه ويتقاتل عليه، الفئران والغربان وحتى الثعالب؟

أجاب وقد انتصبت أذناه الطويلتان: وما يدريني اسأل بني جنسك، هم لم يكتفوا بالجبن بل اتهموني بالعنب.

كان الثعلب يشير إلى قصة مشهورة، فقد زعموا أن ثعلبا رأى عنقود عنب في أعلى الشجرة، ولما لم يستطع الوصول إليه تركه، مخففاً عن نفسه بقوله إن هذا العنب لم ينضج بعد. هي قصة يتذكرها كثير من التلاميذ، كان المربون يريدون دفعنا إلى النشاط وتحذيرنا من العجز والكسل، وكان الثعلب هو البطل.. وفي دور العاجز هذه المرة.

قطع الثعلب عليّ حبال أفكاري المتشابكة وقال ممسكا

بزمام الحوار: حتى هذه القصة مزيفة، لو لم يكن لديكم حيوانات ماذا كنتم ستفعلون، قل لي بالله عليك، بل لو لم يكن لديكم ثعالب لا تستطيع الدفاع عن نفسها مثلنا، من ستستخدمون؟ الغربان مثلا!لم يكن هناك قصة أصلا. الأمر كله ببساطة حدث وأنا أبحث عن الغراب اللص، وتوقفت قبالة الشجرة أنظر بين أغصانها لعلني أعثر عليه.

قاطعته: شجرة عنب؟

رد متهكما: نعم شجرة عنب، وأين يوجد العنب برأيك؟ قلت لك إنني توقفت أمام الشجرة بحثا عن الغراب المحتال فصوروني واختلقوا حديثا بيني وبين نفسي، كأنهم يفهمون لغة الثعالب ليستطيعوا معرفة ماذا تفكر فيه!

حبكوا هذه القصة، ليقولوا إنها حكمة، عن أي عنب تتحدثون يا رجل؟ من يقرأ القصة يعتقد أن حقول العنب في أرضكم مثل كثبان الرمال!

نحن الثعالب نحب الطيور والأرانب بالدرجة الأولى وها أنتم تنافسوننا عليها، لا يخلو منزل من منازلكم من الدجاج أو الحمام، حيا ومذبوحا، بل لم تتركوا طيرا واحدا في الصحراء وحزتم ما بقي منها داخل أسواركم، وإذا ما أقبلت الطيور المهاجرة هجمتم عليها هجمة الجياع ببنادقكم وصقوركم المضحكة المدجنة.

نحن ياسيدي ننتظر هجرة الطيور من العام إلى العام لنأكل نحن وصغارنا ونبقى على قيد الحياة، لا نطاردها لنتسلى مثلكم، أما الأرانب فقد انقرضت، قمتم بالقضاء عليها، وحورتم اسمها ليصبح تعبيرا عن الكذب، فهل هذا خوف من أن يأتي أحد يسألكم عنها في المستقبل؟! ألهذا السبب جعلتم من اسمها مرادفا للكذب.

ويقول أطفالكم.. «أرنب نط جاب لي خطه»، وهل تعمل الأرانب خدما لديكم؟ هل هي كلاب؟! الأرنب لم يعد له وجود حتى ينط، أصبتموه بالعمى باضواء سياراتكم ثم دهستموه، وبتنا نحن الثعالب جياعا.

مواسياً له انطلق لساني: أعدك أيها الثعلب برواية قصتك لأكبر عدد من البشر، ولكن أجب عن سؤالي السابق: لماذا كل هذا الجبن في القصص، ما سر حرص كل الحيوانات على الجبن.. الفئران والقطط والغربان والقرود وحتى أنتم الثعالب؟

رد الثعلب بحدة: وتسألني؟ وهل أنا من كتب هذه القصص؟ أخبرني أنت أولا من قام بتأليف هذه الحكايات، ولماذا يكره الثعالب كل هذه الكراهية، لقد صورونا نموذجا للمكر والطمع والغباء فكيف نجمع بين المكر والغباء، ألم تقرأ قصة الثعلب والطبلة؟

* لا أعرف هذه القصة بل أتذكر قصة طه والطبلة، لم يكن فيها ثعالب، البطلة كانت بطة تدخل بالخطأ في الطبلة فيخاف طه منها.

رد الثعلب بملل: لا أقصد هذه.. واضح أنك لا تتذكرها أولم تقرأها، ربما تتناساها، حسنا أرويها لك باختصار..

زعموا أن ثعلبا وجد طبلة فأعجبه حجمها فقال لابد أن هذا صيد سمين فيه لحم وشحم وعندما شقّها وجدها فارغة!

- وما لذي يزعجك في هذه الحكاية إنها دليل على تقدير الإنسان لذكائك، فأنت في هذه القصة مصدر من مصادر الحكمة، ليس كل سمين وكبير فيه فائدة؟

* ولكنك تنسى أنها جعلت الثعالب لا تفكر سوى في بطونها، أنتم ترموننا بسوئكم، نحن الثعالب لا نأكل إلا على قدر حاجتنا، هل رأيت يوما ثعلبا بكرش ضخم؟ أتحداك، هل شاهدت يوما ثعلبا «لغلوغه» يكاد يلامس صدره، هل صادفت في حياتك ثعالب أكبر ما فيها أعجازها! نحن على العكس من هذا، انظر إلينا ونحن نأكل وتعرف الفرق، هذه واحدة. الثانية أننا نحن الثعالب نشم ونعرف السمين من الغث من دون بقر بطنه، هذه الأخيرة منكم ولكم لا علاقة لنا بها. الثعالب لا تغتر بالصور والأجسام، أنتم من يلهب خيالكم الشكل والحجم، ويجعلكم تشقون البطون لتحصلوا على الفراغ.

فزعت من كلام الثعلب،لم أتجرأ على الرد بكلمة واحدة، كل ما قاله صحيح فماذا أقول، وبحذر صار يتجول في زوايا الغرفة يبحث، حاشرا أنفه متحسسا رائحة كل

شيء يصادفه، وجدت أنني كنت متسامحا معه أكثر مما ينبغي، الحيوانات هكذا لا يجب أن تعطيها الفرصة، عندما تتهور وتفعلها لا تتردد في الانقلاب عليك، الحيوانات، والثعالب، بالذات تنسى نفسها، كان من الأنسب أن أعطيه ظهري بدلا من الإنصات له، قررت أن أطلب منه الرحيل. فتحت كتاب المطالعة على صفحة الغراب والثعلب، تحفزت وما إن هممت بالكلام حتى التفت وحدّق بي، كانت عيناه توشكان على اختراق عينيّ، تجمدت أمامه، بدا لي أنه يحاول قراءة ما يدور في ذهني، وفجأة، انقلب المشهد رأسا على عقب، ظهرت المسكنة على وجهه وغار البريق في عينيه وارتخت أذناه، بدا لي مستسلما خائر القوى، وخلال لحظة واحدة كان كمن يطلب المساعدة، وبابتسامة باهتة اعتذر عن انفعاله وأكد وهو يلهث أنه لم يقصد إزعاجي أبدا، وبعد أن اختار مجلسا بمحاذاة قدميّ قال:

كل هذا من طائر الشؤم، قد تعتقد أنني مصاب بالغيرة من الغراب، معك حق، لكن الحقيقة أنني أريد فهم كيف يفكر البشر، لو قمت بمقارنة بيننا نحن الثعالب والغربان لنجحنا وأخفق نذير الشؤم، حتى في العلاقة معكم أنتم البشر، وفي منفعتنا ومضرتنا لكم، هذه مقاييسكم، المضرة والمنفعة، تذكر كيف يفزعك نعيق

الغراب، هذا الصوت لا يكفي قبحه بل يظل يتردد داخلك وقتا طويلا، هل تريد مقارنات أخرى، لو وضعتم النسر أو الصقر وحتى الحمامة لكان أهون علينا معشر الثعالب، ورغم أنكم لا تطيقونه إلا أنكم تصفونه بالذكاء، والحكمة وحتى معرفة أرخميدس؟!

- هل تتذكر قصة الغراب والجرة؟

* قلت ساخرا: غراب وجرة! لعلها ليست جرة فول!

- لا بل جرة ماء... زعموا أن غرابا أصابه العطش وبحث عن الماء فلم يجد سوى جرة لها عنق طويل، لا يستطيع الوصول إلى الماء في قعرها.

فماذا فعل؟

زعموا أنه صار يأتي بالحجارة ويلقيها في الجرة حتى ارتفع الماء، فوصل إليه بمنقاره القذر واستطاع إرواء عطشه. واستدلوا بهذه القصة على أنه طائر ذكي، يعتمد على نفسه، يريدون منكم أن تتشبهوا به، قالها وهو يضحك، هل اقتنعت أن هناك محاباة للغراب في قصصكم، في مقابل تسلطكم علينا؟!

خذ قصة العنز والثعلب مثلا، هل تصدق أنني ادعو عنزا للنزول في بئر وشرب الماء البارد والعنز تستجيب؟

ومنذ متى كانت الماعز تنصت لنصائح الثعالب؟ ثم من قام بالترجمة بيننا؟ هل تعتقدون أن كل ما يدب على أربع يتكلم اللغة نفسها؟ لو كانت الماعز مطيعة إلى هذا الحد لما حفرت الثعالب جحورا بل لسكنت الآبار وعلقت لوحات دعوة للماعز، فتاكل منها وتشرب من الماء بدلا من البحث المضني عن ارنب تائه أو جرذ شارد، لا.. والطامة الصغرى في قصتكم أنني دعوتها للنزول إلى البئر فقط لأستخدمها سلما، فأصعد على كتفها وأهرب بعد أن أقول مقولتكم الشهيرة: فكر في الصعود قبل النزول، وأنتم تصدقون ما تقرؤون، فإذا كنت أنا من أطلق هذه الحكمة فكيف وقعت في البئر؟

أما الطامة الكبرى فهي استغلالي لكتف عنز لأصعد عليه، الله.. الله، من هو أشهر كائن على وجه الأرض عرف باستغلال كل كتف يصادفه نهشا أو تقبيلا وربما لحسا؟ ومن هو أعظم كائن على وجه البسيطة استطاع تطوير استخدام جديد للأكتاف فجعل منها سلما للصعود، سلما متحركا لا يحتاج إلى حمل لا بالطول ولا بالعرض، سلما بثمن يسهل بذله عليكم أنت معشر البشر.

الله تعالى الخالق لنا جميعا فضلكم علينا وخلقكم بقامات منتصبة، لم تكتفوا بهذا بل أصبتم بنهم التطاول،

كل منكم يريد الصعود إلى أعلى دوسا على لحم أو عظم، تفعلون هذا وأنتم تعلمون وتتهمون الثعالب بالصعود على أكتاف الماعز، عجبا وألف عجب..لا تهز كتفيك وتهزأ بي.. هذه هي الحقيقة.

هززت كتفي لا إراديا، شعرت بتوتر في الأكتاف منذ بدأ الثعلب يركز عليها، تذكرت صورا كثيرة لأكتاف كائنات أعرفها أكل لحمها ورميت عظامها، لكن هذا الحيوان المخادع دقيق الملاحظة، هو لا يترك لي لحظة واحدة للهروب منه، طوال حديثه لم يغمض عينا من عيونه، يركز ويحدّق بي، وجدت صعوبة في التخلص من سحر وميض عينيه، بل بدا لي أنه يؤثر عليّ بشكل غريب.

مط الثعلب كتفيه وذراعيه إلى أعلى، ربما بحثا عن شيء من الحيوية، وبسرعة خاطفة نفض جسده وتمرغ على الأرض حتى امتلأ المكان بوبره، ثم عاد وبود مصطنع لا أرى له جذورا في عينيه جلس متابعا حديثه:

حتى لا أفهم خطأ، أنا لا أتخذ موقفا من العنز، ولا أشعر بالغيرة منها، وعلى ماذا تحسد بربك.. على ماذا؟ أعرف علاقتكم الحميمة بها، على الأقل أنتم تكرمونها على العكس من الكلاب التي صار اسمها سبة، والأرانب التي

أصبحت عنوانا للأحجام الكبيرة من الكذب، صحيح أنكم لم توفروها فتقولون «ستر عنز» ساخرين ممن يفضح الأسرار ولا يصبر على الكتمان، وأنتم معشر البشر أكثر من يفعل ذلك، لا أتذكر في تاريخ الحيوان أن عنزا فضحت سرا، حتى في قصة الذئب وصغار الماعز، الجهل وصغر السن أوقعا صغار الماعز بين مخالب الذئب ولا أنسى إهمال الأم، هل تتذكر هذه القصة أم أرويها لك؟ قاطعته مسرعا:

ـ بالله عليك يكفي، لا تقص عليّ أبدا.. أريد أن أنام إنها الساعة الرابعة فجرا، اقتربت منه وصفحة كتاب المطالعة بين يديّ وفي داخلي رجاء مكتوم بأن يعود إليها، حدثت نفسي أن الحر تكفيه الإشارة، والثعلب حيوان حر، على عكس كثير من الحيوانات، منتصبو القامة منها ومنحنيوها، قلت لنفسي هو حر ولا بد أن يفهم.

انتصب الثعلب فجأة، وقف على قوائمه الأربع، تطلع إليّ بثبات، وبلهجة واثقة قال:

لا تستعجل من فضلك، لا يتاح لي هذا دائما ولا يتاح لك، اصبر قليلا! أين توقفنا؟ آهاه.. نعم.. العنز، قبل هذا أخبرني لم أنتم يا معشر البشر تحتقرون كل ما بين أيديكم، تخفون هذا الشعور تارة وتظهرونه تارة، لكنكم في

كل الأوقات لا تتوقفون إلا عند الخوف والرجاء! ما الذي يجبركم على مثل هذه الخسة، اسمح لي، ولكني لا أجد كلمة أخرى أكثر تعبيرا منها.. وتقولون «ستر عنز» وهل هي المسكينة من اختارت خلقة ذيلها، ثم بماذا نفعكم ستر ثيابكم، هل تعتقد أنها تستر نواياكم عنا نحن الحيوانات؟! العنز حيوان ضعيف ولا أدل من ضعفه على خدمته لكم، وتسليم رقبته لسكاكينكم، انظر إلى الكلاب ماذا فعلتم بها، هل تعلم أننا أبناء عم مع الكلاب وأن هذا هو سبب العداوة. سأروي لك الحكاية الأخيرة لأخبرك عن سبب العداوة بيننا وبين الكلاب، سأقص عليك حكاية الديك والثعلب.

* وما دخل الكلاب بها؟

ـ انتظر قليلا أنت مستعجل مثل كل البشر اسمع «زعموا أن ثعلبا مرّ بشجرة فرأى فوقها ديكا، فقال الثعلب للديك أما تنزل فنصلي جماعة؟

فقال الديك: إن الإمام نائم خلف الشجرة فأيقظه؟

فنظر الثعلب فرأى كلبا فشرد، فناداه الديك: تعال لنصلي جماعة.

فقال الثعلب: قد انتقض وضوئي، فاصبر حتى أتوضأ وأرجع».

هذه القصة حدثت بالفعل، وأتذكرها جيدا، لكن معشر البشر على عادتهم فهموها كما يريدون.

يا صديقي لتعلم أن الثعالب مرهفة الحس وتحسن التفريق بين الأصوات الحسنة والقبيحة، وصوت الديك وهو يؤذن لا أجمل منه يصل إلى القلب ويؤثر في النفس. كانك تنظر لي بسخرية، نعم نحن الحيوانات نصلي، اتعتقد انكم من يصلي فقط في هذا الكون الفسيح، طلبت من الديك أن نصلي جماعة هذه حقيقة، ولكنه أرادها بمشاركة الكلب، فطلب مني إيقاظه، وعندما رأيت الكلب وتذكرت العداوة بيننا خرجت مني ريح فانتقض وضوئي، تضحك.. حسنا البشر فقط هم الذين يضحكون على هذه الأمور، ألم تسأل نفسك لماذا تضحكون على هذه الأصوات؟!

.. أكمل لك، لقد كنت عازما على الوضوء مرة أخرى والعودة رغم حذري من الكلب، الكلاب كما أسلفت لك أبناء عمومتنا، وسبب الخلاف بيننا هم أنت معشر البشر، ولا أعرف في أي جد نلتقي لكننا معهم والذئاب نعود إلى أصل واحد، هل تود مطالعة شجرة العائلة... حسنا أنت تتثاءب لن أطيل عليك هذه وكفى.. اسمع، جاء البشر لجد الكلاب وأغروه بالكلام المعسول وقطع من اللحم، أنتم تقولون

استأنسوه والصحيح أنكم اختطفتموه بالحيلة، دعني أكمل لا تكثر من التثاؤب..

كان لجد الكلاب شقيقان اثنان جدنا وجد الذئاب، اجتمعوا بحضرة والدهم جدنا الكبير وهو على فراش المرض، قال جد الكلاب إنه ينوي السفر وبعد نقاش وبحث مستفيض، أخبرهم بعرض البشر له، وزينه لهم وطلب أن يلتحقوا به جميعا للعيش مع بني البشر، لكن جدنا الكبير كان حكيما فنهره وحذره من ذلك. وبعد أن مات جدنا الكبير عاد جد الكلاب وأثار رغبته لأشقائه، جد الذئاب وكان أكبرهم سنا وأكثرهم خبرة في الحياة حاول الفتك به وقتله، بينما كان جدنا الثعلب الأكبر يحاول إصلاح الأمور، المهم لا أود الإطالة عليك وأنت متعب.. هرب جد الكلاب والتحق بالبشر، ومن يومها والعداوة قائمة بين أبناء العم وبمرور الزمن والقطيعة تراكمت الأحقاد واستغلها الإنسان فسلط بعضنا على بعض، لكن ماذا استفادت الكلاب من البشر في مقابل استفادة البشر منها؟ قل لي بربك. وضعت الكلاب في أحقر الأماكن وقدمت لها الفضلات وأصبحت من خدم الخدم، وعاشت على التسول والتسكع في الشوارع، لا تحصل سوى على الحجارة كلما نبحت تذكر بوضعها، ومن يومها لم تستطع الكلاب رفع رأسها، وتقولون وتتحدثون

عن وفائها كلام يطير به الهواء، وهل يقدر معشر البشر الصدق والوفاء؟ هذا هو ابن عمنا الكلب أصبح شتيمة، كل واحد من البشر يرمي الآخر بكلب إذا أراد شتمه وتحقيره، إلا من رحم ربي. والمثير للدهشة أنكم عندما تستقدمون كلبا من الخارج تقدمون له كل الرعاية، ويصبح مدللا.. يقدم له أفضل الطعام وكل العناية، وبعضكم يفضله على أولاده، أمر عجيب لم اكتشف سره، هل تخبرني عن هذا السر الذي لا يعلمه أحد سواكم؟ ولتعلم يا صديقي يا من تحملتني هذه الليلة، يا من تتمنى فرائي من دون لحم لتضعه في منزلك وتتحسسه كلما رغبت بملمس ناعم، لتعلم أن الثعالب عندما تقابل الكلاب تعيّرها بجدها الخائن، وخداع البشر له، وتذكرها بغبائه وأنه السبب فيما آلت إليه أمورها.

صمت الثعلب واستلقى على ظهره، انتهزت هذه الفرصة، ومغالبا النعاس قلت:

حسنا أيها الثعلب المسكين بدأت أقتنع بالمظالم التي حاقت بك وببني عمك، ولكن قبل أن ترحل معززا مكرما أجب عن سؤالي لماذا الفئران والقطط والقردة والغربان وحتى الثعالب تحب الجبن؟

اقترب الثعلب شيئا فشيئا من صفحة الكتاب الملقى على الأرض وهمس في أذني: سأجيب عن سؤالك إذا أخبرتني عن سبب إساءتكم لنا، هل هي الغيرة منا، هل تظنون أن بيننا أمورا مشتركة ننافسكم عليها؟!

واصلت صمتي مجاهدا النوم الذي يغالبني.. تابع الثعلب وقد أصابه اليأس:

والله أعلم يبدو أنهم يريدون منكم أن تتعلموا الشجاعة فتركوا الجبن لنا نحن الحيوانات، كل منا يختفي وراء جبنه ويرمي به الآخر، بدأت أشعر بالجوع.. هل لديك قطعة من الجبن؟

اَلرِّفق بالْحيوان

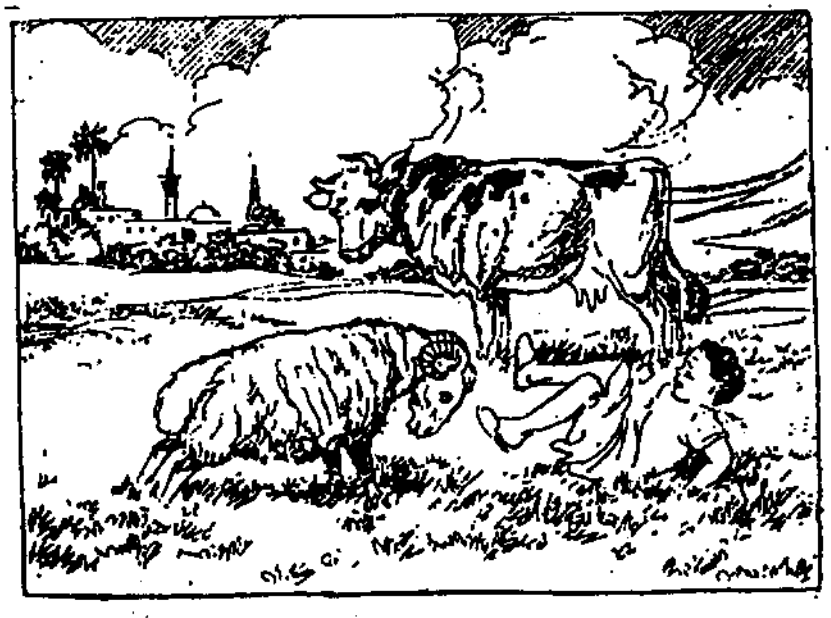

ذَهَبَ رَشَادٌ يَوْماً إِلَى الْحَقْلِ ، فَوَجَدَ فِيهِ خَرُوفاً كَبِيراً يَرْعَى بجَانِبِ الْبَقَرَةِ ، فَأَخَذَ رَشَادٌ يَرْكَبُ الْخَرُوفَ مَرَّةً وَيُعَاكِسُهُ مَرَّةً أُخْرَى ، فَاغْتَاظَ مِنْهُ الْخَرُوفُ وَنَطَحَهُ بِرَأْسِهِ نَطْحَةً أَلْقَتْهُ عَلَى الْأَرْض .

فَصَرَخَ رَشَادٌ صُرَاخاً شَدِيداً فَحَضَرَ أَبُوهُ مُسْرِعاً فَوَجَدَهُ

مُلْقىً عَلَى الأَرْضِ وَثِيَابُهُ مُلَوَّثَةٌ .

فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ :

هٰـذَا جَزَاءُ مَـنْ لَا يَرْفُقُ بِالْحَيَوَانِ ، فَإِيَّاكَ أَنْ تُعَاكِسَ الْحَيَوَانَ مَرَّةً أُخْرَى يَا بُنَيَّ .

زعق صويلح من نخسة عصا المعلم، كركر كل تلاميذ الفصل، صرخة صويلح المفاجئة، قدمت شيئا من الإثارة لحصة المطالعة الرتيبة، جاءت على شكل رد فعل سريع وحاد، الطرف المعدني المدبب للعصا انغرس في صدره فصرخ المسكين، بعض التلاميذ أكد أنها لم تكن صرخة بل شيء آخر، وضع الشياطين الصغار أيديهم على أنوفهم، آخرون تلثموا بأشمغتهم، ضج الفصل بالضحك والقهقهات، وبعينيه الصغيرتين الشهباوين توعد صويلح كل من وقع عليه بصره منهم بالويل والثبور.

صر أسنانه وفي حركة متوافقة كانت عيناه تنخس كل عين تقابلها، وضع إصبع السبابة والإبهام على عنقه مهددا ومتوعدا كل من التفت إليه.

في مثل تلك اللحظة لا يكون لديه سلاح سوى نظراته الحادة، يستخدم العينين كبندقية صيد ومنظار رصد، كاتما غيظه، حتى لا يأتي المزيد، لم لا وعصا أبو مشخال المخيفة تحوم فوق رأسه.

الأستاذ أبو مشخال يعتمد كثيرا على عصاه الطويلة، يعتبرها اللغة الثانية التي يجيدها، إنها غاية ووسيلة معا، وهو ليس بحاجة لأن يتوكأ عليها لكنه يستعين بها كل الوقت، وعندما يلقي دروسه، يعتبرها من وسائل التعليم الأساسية، كما أنه اكتشف فوائد أخرى لها، فبدلا من مناداة الطلاب بأسمائهم المتشابهة، يمكن لها أن تقوم بالمهمة، تختصر المسافات والكلام، وطولها يمنحه مساحة سلطوية أكبر وأوسع، هي خيزرانة اشتراها من سوق قديم وسط المدينة، يقسم بعض التلاميذ أن أبو مشخال نقع العصا بماء مالح أضيف إليه خل مركز، لتكون أقوى وأمضى، لكن العصا لم تكن للعقاب والمناداة فقط، أبو مشخال يستخدمها أيضا للربت على الرؤوس والإشارة إلى جماد أو تلميذ الأمر سيان، ويتذكر التلاميذ حادثة خطف عين أحد زملائهم برأس تلك العصا، ولا يخفي أبو مشخال تلذذه كثيرا بصوتها وهي تشق عنان الهواء، يعلم أن هذا الصوت يحدث فزعا في قلوب تلاميذه، صوت أزيز العصا صار

جزءا من درس المطالعة، التلاميذ لا يتأخرون عن بداية حصة أبو مشخال، الدخول من الباب يعتبر مخاطرة فهو لا يتم إلا بعد قرعة معتبرة من عصاه، لا يهتم كثيرا أين يقع الضرب، حجم التلميذ وشطارته في سرعة المرور هما ما يحدد موقع الألم، فيما يقف أبو مشخال بالمرصاد لكل متأخر، ويتفنن في اصطيادهم الواحد تلو الآخر.

صويلح بالذات له تعامل خاص، قرر أبو مشخال أن هذا التلميذ لا ينفع، منذ أن تأخر واحتج بشدة على لشطة العصا.

وقتها قال له أبو مشخال ساخرا: اضربني أحسن؟!

من يومها وجسد صويلح يتلقى العقاب نيابة عن تلاميذ الفصل جميعا، نسي أبو مشخال كل التلاميذ وركز على صويلح، هو أول من يقرأ وأول من يسمّع المادة المحفوظة، وأول من يجيب عن الأسئلة، أما إذا غاب صويلح يوما عن الحضور فإن المعلم أبو مشخال يجد نفسه بلا عمل، فيجلس على كرسي في مقدمة الفصل ويشير بعصاه المرعبة للتلاميذ ليقرؤوا بعض نصوص المطالعة، فيما يبدو المعلم الفظ مصابا بالملل، كأنه يعاني من كساد.

كان لا بد من هذه الخلفية التاريخية المهمة لتعرف القصة.

والعصا مغروزة في صدر صويلح صاح به المعلم يأمره بقراءة قطعة «الرفق بالحيوان»، بدأ التلميذ الخائف يقرأ ويتعتع ومع كل جملة كانت هناك لكزة من العصا، وتصويبات يضج الفصل بسببها من الضحك وأبو مشخال منشرح لهذا الموقف: «خروف.. يا خروف انطقها صح.. ما هو خاروف، أنت مخرف، مالك علاقة يا صويلح بالرفق بالحيوان، وش جابك وش جاب خروف رشاد، الثرى والثريا! على الأقل الحيوان وراه فايدة.. لكن أنت بذمتك وش فايدتك؟!» ثم يوجه له سؤالا مفاجئا عن قطعة مطالعة أخرى:

ما هي قطعة المطالعة في آخر درس يا صويلح؟

مثل جراد فزع تتطاير أصابع التلاميذ كل منهم يود الإجابة، وقبل أن يجمع صويلح عزمه، يشير أبو مشخال لأحد التلاميذ: أنت يا ثامر:

* «لاتؤذ الحيوان».. يا أستاذ!

ولماذا عض الكلب سعيدا يا ثامر؟

لأن سعيدا رماه بالحجر يا أستاذ؟

وبماذا نصح والد سعيد ابنه؟

نصحه بعدم إيذاء الحيوان لأنه يشعر بالألم وليس له لسان يشتكي به؟

ممتاز يا ثامر، يطبطب أبو مشخال بعصاه على رأس التلميذ ثامر، ويتابع: نسيت أن الحيوان ينتقم ممن يؤذيه أيضا يا ثامر.

يعلم صويلح علم اليقين أن للحيوان لسانا ولسانا طويلا، ويستطيع الشكوى بلغته الخاصة، ولكن من باب سد المنافذ على المعلم أبو مشخال يصمت، منتظرا زوال الغمة.

بعد هذه المرمطة والتسفيه، يأمره المعلم بمواصلة القراءة، وقبل أن يكمل السطر الأول يلتفت إليه قائلاً: قف!

يقف صويلح على رجليه، يضحك أبو مشخال ساخرا ويعنفه: أقول قف! عن القراءة، لماذا تقف على رجليك؟.. اقعد قعد عليك قعود ما لبطنه حدود! تنتاب الفصل هستيريا من الضحك وأبو مشخال لا يخفي حبوره.

على هذا المنوال كانت حصة المطالعة، وقتا مضنيا من القلق والترقب يعيشه صويلح، يتصلب أثناءها في جلسته مثل تمثال، حريصا على عدم الإتيان بحركة أو طرفة عين تجعل أبو مشخال يلتفت إليه. لكن هذه الخطط من دون فائدة، هذا التكتيك لا يبعد أبو مشخال عنه أبدا، وتستمر

حصة المطالعة ثقيلة، تزحف دقائقها الطويلة زحفا حتى ينافس بطؤها الساعات، وقت لزج يجثم على قلب صويلح مثل جاثوم، وما إن يرن جرس نهايتها حتى يتنفس مثل من فك خناقه، غريق أنقذه صوت الجرس، لحظة الرنين تلك إشارة إطلاق سراحه، ينزاح مع الرنين حمل ثقيل عن صدره.

قرع جرس نهاية الحصة، لكن أبو مشخال المعلم أوقف فرح التلاميذ وعلى رأسهم صويلح، أغلق الباب، ابتسم قائلا: الدرس القادم صفحة 24 «الرحمة والتعاون».

ما هو الدرس القادم؟ يسأل التلاميذ.

التلاميذ جميعا بصوت واحد فيه من الحماس ورغبة الخلاص الشيء الكثير يجيبون وعيونهم على مقبض الباب:

الرحمة والتعاون!

يخرج بعدها أبو مشخال مطلقا سراح تلاميذه وملوّحا بعصاه في الممر، فيما يرتاح صويلح على مقعده، يهدأ ويبدأ بالعودة تدريجيا إلى وضعه الطبيعي، في مثل تلك اللحظات يبتعد عنه زملاؤه، يكون وقتها مثل لغم متحرك برؤوس متعددة، ينتظر من يلمسه أو يلمزه، يحرص زملاؤه على ترك مسافة مناسبة بينهم وبينه، لا يتحدثون معه، فلا يمكن التنبؤ بما يفعل..

عند الخروج من المدرسة لا ينتقم صويلح من زملائه الساخرين، السبب أنهم يهربون عن طريقه، ولا يكلف نفسه عناء اللحاق بأحد منهم، لديه موعد أكثر أهمية، يصل إلى المنزل يضع كتبه، ويأكل بسرعة ما جهزته أمه، يضع الباقي في جيوبه، ثم يخرج إلى ساحة ترابية كبيرة في طرف الحي يتناثر في أرجائها عدد من الصناديق وأحواش الأغنام والبقر، وتلال تفرقت هنا وهناك من القمامة.

وفي جزء منزوٍ منها يجلس صويلح في ظل بقايا جدار طيني، يدخل يده في جحر كبير تحت الجدار تظهر يده وهي تحمل جرو كلب، وبعد لحظات يخرج جروا آخر، يضعهما صويلح في حضنه ويمسّد عليهما براحة يده، ويبتسم، تتغير ملامح وجهه وهو يخرج ما في جيوبه، وفجأة تقبل الكلبة الأم مسرعة لتندس باسطة ذراعيها وتلتصق بساق صويلح الممدودة.

اَلْبَخِيلُ وَقِرْدُهُ

كَانَ لِرَجُلٍ بَخِيلٍ قِرْدٌ لَمْ يُطْعِمْهُ إِلَّا قَلِيلًا.

وَفِي يَوْمٍ نَسِيَ الرَّجُلُ كِيسَ نُقُودِهِ وَخَرَجَ. وَكَانَ الْكِيسُ مُمْتَلِئًا ذَهَبًا. فَلَمَّا شَاهَدَ الْقِرْدُ الْكِيسَ، تَنَاوَلَهُ وَمَزَّقَهُ، وَأَطَلَّ مِنَ النَّافِذَةِ وَصَارَ يَنْثُرُ الذَّهَبَ عَلَى الْمَارِّينَ فِي الطَّرِيقِ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ وَصَارُوا يَلْتَقِطُونَ الذَّهَبَ، وَالْقِرْدُ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَهُوَ يَضْحَكُ كَالْمَسْرُورِ.

ثُمَّ أَقْبَلَ ٱلْبَخِيلُ فَأَزْعَجَهُ هَذَا ٱلْمَنْظَرُ، وَصَاحَ فَرَآهُ ٱلْقِرْدُ، فَأَخَذَ يَرْمِي لَهُ مِنَ ٱلنُّقُودِ وَٱلنَّاسُ يَضْحَكُونَ. وَهَكَذَا مَالُ ٱلْبَخِيلِ لِغَيْرِهِ.

سببت هذه القصة للتلاميذ هاجسا أقرب إلى الحلم، استمر يطوف في أذهانهم ردحا طويلا من الزمن، كانوا عندما يخرجون من المدرسة يتطلعون إلى النوافذ لعلهم يشاهدون قرد بخيل آخر مثل ذاك الذي في كتاب المطالعة، لكن البخلاء في المنطقة المحيطة بالمدرسة كانوا أكثر دهاء، لابد أنهم قد قرؤوا واستوعبوا هذه القصة منذ زمن بعيد، لذلك حرصوا على إقفال النوافذ طوال الوقت، خصوصا عند خروج التلاميذ من المدارس، ولن يفوت عليهم وضع أكياس النقود في مكان أمين، بعيدا عن متناول أي قرد حبيس، هكذا فسر التلاميذ فشلهم المستمر في مشاهدة قرد بخيل واحد في نافذة.

حلم التلاميذ ليس في الحصول على بعض القطع الذهبية فقط، بل أيضا في مشاهدة القرد وهو يضحك متلذذا برمي نقود البخيل، يرمي النقود وهو يعاني من

الحرمان، التلاميذ في ذلك الوقت كانوا يسمون ما يفعله القرد «الهدة»، والمعنى أن يتيح شخص كل ما لديه للآخرين بنفس أسلوب قرد البخيل. القصة أوحت بفرح طاغ عاشه القرد للحظات، استمتع القرد برمي النقود واستمتع أكثر بذلك الجمع من الناس الذين أحاطوا به، كل واحد منهم يزاحم الآخرين للحصول على قطعة ذهبية، لم ينتبه التلاميذ كثيرا إلى أن القرد أعطى ما لا يملك لمن لا يستحق، كانوا يعتقدون أن للقرد نصيبا في مال البخيل، من دون فهم لكيف يكون ذلك، يبدو أن لعنوان القصة دورا كبيرا في هذا الفهم.

مرّ زمن طويل لم يجد التلاميذ قردا مثل قرد البخيل، على كثرة النوافذ التي حدّقوا بها، وتسمّروا أمامها، كل هذا الفشل مع أنهم وسعوا من دائرة البحث لتشمل الأحياء المجاورة، أحد أسباب عدم عثورهم على احتفال ذهبي مثير مثل ذاك، أن القرد سيطر على أفكارهم، هم يبحثون عن قرد، يريدون قردا بذيل طويل وبنفس الوجه الماكر والحركات المضحكة.

عندما كبر التلاميذ اكتشفوا أن قرود البخلاء كثر، بل هم أكثر عددا مما يطاق احتماله، إنهم أكثر من الهمّ على القلب، حتى أن بعضا منهم وفي لحظات صدق مع النفس،

بين فينة وأخرى، يقف أمام المرآة، فقط ليتأكد من أنه مازال بشرا لم يتغير.

كانت القرود الجديدة التي اكتشفها التلاميذ عندما أصبحوا شبابا، تأكل وتشرب مثلهم، وتركب سيارات مثلما يركبون، بل في الغالب كانت تبدو أحسن حالا منهم، كانت شبعانة بل متخمة، لكنها مازالت مثل قرد البخيل، تفرح بصنع جمهرة حولها، فتستمر برمي النقود أو أي شيء لامع آخر يجذب الانتباه، شيء ما يحشد أكبر عدد من الناس المستبشرين الطامعين.

عيون القرود الجديدة وحركاتها تفضح دواخلها، لم يكن هناك فرح حقيقي مثل فرح قرد البخيل الذي سكن أفئدة الصغار، بل شعور متأصل بالحرمان، ورغبة عارمة بزيادة الحشود حولها، واستمتاع لا يوصف بمشاهدة المتجمهرين وهم يتساقطون ويتعاركون حول قطع النقود الجديدة، فرح المتجمهرون حول القرود الجديدة مختلف عما أحس به الأطفال مع قرد البخيل، لم يكن الفرح المعروف، هو شيء آخر، مُرّ المذاق، وقد غطي بعباءة فرح شفافة تكشف ما تستر.

لم يعد التلاميذ الكبار يبحثون عن قرد بخيل يرمي

النقود على المارة، تركوا التحديق في النوافذ، أصابهم الملل من كثرة القرود في الشوارع، وداهمهم سأم أكبر من المشهد المعاد المكرور، كل يوم تقوم القرود الجديدة بالفعل نفسه، ووسط المجموعة نفسها، لم يعد هناك من شيء جديد يشد انتباه التلاميذ بعدما كبروا، شخصية واحدة افتقدوها، غابت ولم تظهر رغم كثرة القرود، أصبحوا كلما شاهدوا قردا يرمي النقود تلفتوا يمنة ويسرة بحثا عن البخيل، الرجل البخيل هو المفقود وسط هذا التجمع المكرور. في كل مرة يتوقعون أن يفاجأوا بدخول البخيل الغائب عليهم، ليصرخ في القرد كما تعلموا في صغرهم، ولا يحدث ذلك. اختلفوا في الأمر، وجلسوا يتساءلون: ماذا حصل للبخيل؟ هل مات؟ أم يعيش في غيبوبة جديدة؟ ولماذا اختفى عندما كثرت أعداد القرود؟

ٱلْمَـرْأَةُ وَٱلدَّجَاجَةُ

كَانَ لِٱمْرَأَةٍ دَجَاجَةٌ تَبِيضُ كُلَّ يَوْمٍ بَيْضَةً وَكَانَتِ ٱلْمَرْأَةُ تَبْحَثُ عَنْ طَرِيقَةٍ تَجْعَلُ ٱلدَّجَاجَةَ تَبِيضُ فِي ٱلْيَوْمِ بَيْضَتَيْنِ بَدَلًا مِنْ بَيْضَةٍ وَاحِدَةٍ .

فَدَفَعَهَا طَمَعُهَا إِلَىٰ أَنْ تُطْعِمَ ٱلدَّجَاجَةَ ضِعْفَ مَا كَانَتْ تُطْعِمُهَا مِنَ ٱلْحَبِّ ، فَلَمَّا فَعَلَتْ ٱنْشَقَّتْ حَوْصَلَةُ ٱلدَّجَاجَةِ فَمَاتَتْ .

وَنَدِمَتِ ٱلْمَرْأَةُ عَلَىٰ فِعْلِهَا وَقَالَتْ فِي نَفْسِهَا : قَبَّحَ ٱللَّهُ ٱلطَّمَعَ ، فَهُوَ سَبَبُ حِرْمَانِي مِنْ دَجَاجَتِي وَلَوْلَاهُ لَمَا مَاتَتِ ٱلدَّجَاجَةُ .

بعض المؤمنين بنظرية المؤامرة قالوا إن المقصود بالدجاجة في القصة هو الزوج، ولم أستطع الرجوع إلى الكاتب أو الكاتبة لتقصي الأمر لكنه جدير بالتأمل، وإذا

علمنا أن القصة وضعت للأطفال الذكور في المرحلة الابتدائية، وهم في أعمار لا تفكر في الحياة الزوجية والتعامل مع النساء بعد، بل هم يفكرون في الدجاج والحمام والقطط والكلاب، إذا تذكرنا ذلك لابد أن نضع أهمية مستقبلية لرؤية أصحاب نظرية المؤامرة.

ثم إنه من غير المصدق أن تعترف المرأة بخطئها وتعلن على الملأ أنها طماعة وأن طمعها هو الذي قتل دجاجتها الوحيدة فحرمت منها وأصبح البيض البلدي النظيف عزيز المنال.

لا يحدث ذلك في الواقع أبدا،كما يعرف كل رجل، يمكن أن يتهم هو بقتل الدجاجة وربما بمضايقتها نفسيا أما أن تعترف المرأة فذاك لترات من حليب العصافير، لذلك فإن نهاية القصة غير مقنعة بل وغير واقعية، والأقرب للواقع والمنطق هو التالي:

وجدت المرأة صاحبة الدجاجة أن بيضة واحدة في اليوم لا تكفي وقررت تسمين الدجاجة لعل البيض يكثر في بطنها فيخرج أزواجا لا فرادى، وأصبحت الدجاجة محل عنايتها ودلالها، فصارت تشتري لها حبوبا جيدة طبيعية مروية بماء المطر وتسقيها حُبا جما، حتى صارت الدجاجة

هي همّها الأول والأخير، وانعكس ذلك على واجبات المرأة الأخرى فأهملت زوجها واحتياجاته، وكأنه غير موجود، في حين صارت الدجاجة تسرح وتمرح في البيت وتلطخه ببقاياها ولا أحد يستمع لشكاوى الزوج مما يحصل لملابسه وأوراقه، والحجة أن هذه العناية الخاصة ستملأ البيت بيضا بلديا طازجا له رائحة طيبة، بيضا له رائحة طيبة! ويطمئن إلى جودته بدلا من ذاك البيض النتن الفاسد الذي تمتلئ به الأسواق.

ورغم أن الزوج وعد حرمه المصونة بأطباق من البيض البلدي كل أسبوع، على أن تترك هذه الفكرة وهذه الدجاجة إلا أنها لم توافق كعادتها، فليس كل البيض واحدا، وزوجها لا يفهم في هذا الشأن مثل شؤون كثيرة أخرى لا تعد ولا تحصى.

مقت الزوج البيض ولم يعد يتناوله، ولما فكر في الأمر وصل أولا إلى قناعة بالتنازل عن حصته من البيض لزوجته لعلها تكتفي وتعود زوجة عادية مثل كل الزوجات بدلا من مربية دجاج، إلا أن هذا لم يحقق نتيجة تذكر، ثم تطورت عقدته من البيض لتصبح عقدا متداخلة من البيض إلى الدجاج. تضخم العقد لديه لم يأت من فراغ بل بسبب

تطور الحالة لدى الزوجة حتى أصبح النوم لا يهنأ لها على فراش الزوجية إلا وهي تحتضن الدجاجة، والزوج المسكين ينام ويصحو على قوقأة الدجاج.

أصبح رأس الزوج مقراً للصداع، تحول إلى شخصية فزعة مرتابة، النوم على مكتب العمل صار له عادة أصيلة، هذا بعض ما تفعله قوقأة الدجاج أثناء النوم. أصيب الزوج بحالة نفسية معها دخل إلى عقله واستقر فيه رويدا رويدا أنه متزوج من دجاجة.

تطورت الحالة لتصل إلى قناعة أنه أيضا أنجب دجاجة، وعندما يستيقظ من النوم صباحا ويرى وجهه في المرآة تتداخل مع صورته صورة لديك متعب ومنهك ولكن من غير عرف أحمر، ويتبسم عندما يضع الشماغ الأحمر على رأسه، إذاً هذا هو العرف المفقود، ديك لا ينقصه سوى الانتظام في الأذان والوقوف منتصبا على جدار. تأمّل كثيرا وقلّب الأمر حتى أنه فكر في الاقتران بدجاجة أخرى، ثم استبعد الفكرة فزعا من تزايد صخب القوقأة في منزله الصغير.

لاحظ أحد أصدقاء الزوج التغيرات التي حدثت في شخصيته، وعندما يلتم أصدقاؤه في الاستراحة ويأتي وقت

العشاء ويبدأ الاستفتاء على ماذا تشتهون وتطلبون، كان يقف ويعارض بحدة أي وجبة تحتوي على دجاج أو بيض، ولولا انه ياكل اللحوم الحمراء والسمك لاعتقد الأصدقاء أنه تحوّل نباتيا.

أخذه واحد من أصدقائه مرة إلى ركن منزوٍ من الاستراحة، ثم واجهه بملاحظته التغير الكبير على شخصيته، كان رد الزوج صاعقا، حيث تلفت يمينا ويسارا ولما اطمأن انهما وحدهما قوقأ الزوج بصوت عال، ولم يفهم صديقه، بل فغر فاه واتسعت حدقتاه، فماكان من الزوج إلا أن أذّن مثل ديك فذهل الصديق، ثم وضع الزوج الشماغ الأحمر جانبا وحكى له الحكاية من البيضة إلى الدجاجة، ضحك الصديق حتى دمعت عيناه وعاد قلبه للجلوس على كرسيه، وبعد تفكير اقترح على الزوج أن يذبح الدجاجة، مط الزوج شفتيه وأجاب بانه فكر في الأمر وتراجع خوفا من تدمير حياته الزوجية.

ما هذه الحياة التي اصبحت معلقة بدجاجة؟

لكن صديقه لم ييأس بل فكر وتدبر ثم وضع خطة محكمة، تبدأ بأن يتظاهر الزوج بحب الدجاجة والعناية بها بصورة مبالغ فيها لمدة أسبوع فقط، وينتظر النتيجة.

أطرق الزوج مفكرا بعمق ثم ابتسم، أعجب بالفكرة وعزم على البدء في تنفيذها منذ تلك الليلة. خلال يوم واحد انقلبت الأمور رأسا على عقب، نالت الدجاجة كل العناية والدلال، ونشأ صراع خفي عليها بين الزوجين.

في اليوم الثاني حرصت الزوجة على المراقبة الحذرة، كانت خائفة من غدر الزوج بالدجاجة، أما في مساء اليوم الثالث فقد بدأت عينا الزوجة في الجحوظ، ولم تعد تستطيع إخفاء انزعاجها، صار هذا الانزعاج يأتي بغلاف على شكل قلق وخوف على صحة الزوج.

بعد أسبوع واحد فقط منعت الزوجة أكل البيض لأنه مشبع بالكولسترول، لقد اكتشفت خطورته مؤخرا. برزت ذلك بتقرير قرأته في صحيفة، وأيده تحقيق بثته قناة فضائية، إضافة إلى تأكيد صديقتها زوجة الطبيب.

في صباح اليوم التالي حدثت المفاجأة، استيقظ الزوج على صوت زوجته وهي تشهق وتبكي بحرقة، وعندما سألها: ماذا حدث ولم تبكي بهذه الصورة المثيرة للشفقة؟ نعت له دجاجتها العزيزة التي ماتت هذا الصباح.

واساها الزوج ووعدها بإحضار دجاجة جديدة، لكن الدموع أقلعت من المحاجر، شكرته الزوجة وقالت إنها

أصيبت بعين حاسد، فمنذ ذلك الصباح لم تعد تطيق الدجاج، الحي منه والميت، بل أصبحت تمقته لأنه يكثر الحساد. أما الزوج فمنذ ذلك الصباح استبدل بشماغه الأحمر غترةً بيضاء.

التقى الثعلبُ وحمارٌ فاتفقا على أنْ يكونا صديقين يُساعدُ كلٌّ منهما صاحبَهُ . وفي يومٍ من الأيامِ شاهدَهما أسدٌ فاحتجزَهما عندَهُ ليفترسَهما .

تشاورَ الصديقانِ في هذا الأمرِ ، فقالَ الثعلبُ :

– سأذهبُ إلى الأسدِ لأحتالَ عليهِ وأتخلصَ من هذهِ الورطةِ .

تقدَّمَ الثعلبُ إلى الأسدِ قائلاً :

– يا سيِّدَ الوحوشِ ، ويا حاكمَ الغابةِ ، اتركْني إذا قدَّمتُ

لكَ هذا الحمارَ الجميلَ ليتغذّى به .

قالَ الأسدُ :

- نعمْ سأتركُكَ إذا أوقعتهُ في تلكَ الحفرةِ العميقةِ .

ذهبَ الثعلبُ إلى صديقِهِ الحمارِ وقالَ لهُ :

- لقدْ أخبرني الأسدُ بأنهُ سيأكلُنا إذا بقينا على سطحِ الأرضِ . تعالَ معي لننزلَ إلى تلكَ الحفرةِ فتختبئ وتتخلصَ من شرِّ الأسدِ .

هزَّ الحمارُ أذنيهِ فرحاً بالخلاصِ من الموتِ وسارَ معَ الثعلبِ حتى بلغَ الحفرةَ ورمى نفسهُ بها وانتظرَ أنْ يلحقَ بهِ الثعلبُ .

غيرَ أنَّ الثعلبَ ذهبَ إلى الأسدِ وأبلغهُ أنهُ أوقعَ لهُ الحمارَ في الحفرةِ العميقةِ ، فهبَّا إلى الفداءِ اللذيذِ .

فأجابهُ الأسدُ :

- سأبدأُ بكَ أولاً لأنكَ غدرتَ بصاحبِكَ .

ثمَّ وثبَ عليهِ فأكلهُ .

هل يستحق الحمار من يتعاطف معه؟ دعني أطرح السؤال بصورة.. «أحمر» قليلا! هل ستتعاطف مع حمار؟ قد يبدو السؤال غائما وعامًا، لهذا سأجيب عنك!

لا يمكن لأحد أن يتعاطف مع حمار، السبب ببساطة أنه حمار، من المشكوك فيه أن يعلم الحمار أنه حمار، أقصد رؤية الآخرين وانطباعهم عن الحمير، بالتأكيد هو يعلم علم اليقين أنه من جنس الحمير ولابد أن لديه ثقة بنفسه وفخرا بأصله، وربما لديه شجرة عائلة تصل إلى أطيب الخيول، وقد يحاول إقناعك أن جده الأول عشق بغلة فغضبت عليه خيول القطيع ونفته إلى أقاصي المراعي، فكوّن ما يعرف الآن بالحمير، إلا أن هذا لا يغيّر من الأمر شيئا، الكائنات من كل جنس ولون يرونه الحمار المختزن في رؤوسهم، غبيا ذليلا وحمارا، ولا يجوز أن يكون بطلا لقصة، لو وضعت الحمار بطلا للقصة لما صدقها أحد، ولهزئ بك القراء.

حكم على الحمار أن يبقى حمارا له وظيفة على مقاسه في هذه الحياة، لا يستطيع تجاوز حدودها، من المستحيل عليه أن يترقى سلم الحيوانات ليصبح حصانا أو حتى فرس نهر، قد لا يرضى بمرتبة البقرة، لكنه لا يمانع أن يكون ثورا.

في كل الأحوال كان الثعلب نذلا عند فئة ممن قرؤوا القصة، وذكيا عند فئة أخرى، على الأقل هو حاول النجاة بنفسه، في حين أعطاه الحمار الخيط والمخيط وانتظر، لم

يحاول الحمار استخدام رأسه فكان هذا الرأس من نصيب الأسد.

عندما ألقيت هذه القصة في نادي الحيوانات وسط الغابة وبحضور عدد كبير من مختلف أجناسها سادت همهمة ولغط وتعالت الأصوات، قالت الزرافة بصوت مرتفع: إن الثعلب لم يؤكل وها هو بيننا، لكن الحمار ما زال مفقودا، نهق الحمار الوحشي بمرارة ونخس الثعلب بعين حمراء تتقد شررا، ورمح بقوائمه في الهواء مهددا ومتوعدا. كل الحيوانات بحلقت في الثعلب الذي انزوى بعيدا، حاصرته نظرات فيها ما فيها من السخط والازدراء المقرون بالغضب، وحاول بعضهم الاعتداء عليه، حتى الفأرة لم تحقر نفسها، والجرذ هو الآخر صر أسنانه.

الحيوانات كلها شتمت الثعلب وأسمعته كلاما لا يليق بحيوان، إلا أنه تمالك أعصابه وطلب منهم الهدوء والإنصات إليه، قال الثعلب بلسان يقطر عسلا ومسكنة:

قبل أن تنفعلوا يا أصدقائي أولا أنا لست ثعلب القصة لأنه قد تم أكله وغاب في أحشاء الأسد، ثم أنني لا أعرفه وليس من قرابتي، وفي كل جنس الخائن والوفي فلا تظلموني، ثم إنها قد تكون قصة غير صحيحة، ربما هي

إشاعة للتفريق بيننا وتهديم غابتنا، فتبينوا ولا تظلموا، ولا تكونوا مثل القطيع ينجرف بالظنون فيجري لا يعلم إلى أين ثم يقع في الحسرة والندم، وطلب منهم الانتظار إلى أن يصل الأسد، ويمكنهم سؤاله، وهل يمكن أن يكذب الأسد؟ قالها الثعلب وهو يبتسم، وفحص بعينيه كل الحضور منتظرا تعليقا أو همهمة على كلمته الأخيرة، ولأن ملك الغابة تأخر في الحضور على غير العادة، قرر الثعلب أن يذهب سريعا لمناداته فهو مهتم بتبييض صفحته أمام أصدقائه الحيوانات، وأكد لهم أنه لن يهدأ له بال إلا بعد أن يوضح للجميع الحقيقة ومن فم الأسد وبلسانه.

طلب الثعلب من جميع الحيوانات الانتظار إلى حين يذهب ويأتي بشهادة ملك الغابة، ثم انطلق بسرعة البرق.

وصل الثعلب إلى العرين وأخبر الأسد الذي كان منشغلا بأكل رأس الحمار، قال الثعلب إن سمعتي اسودّت صفحاتها في الغابة يا أسد الأسود، وهذا قد يؤثر على هيبتك وقيمتك في الغابة، وروى له إلى أين وصل سخط الحيوانات عليه واتهامها له.

أطرق الأسد مفكرا ثم تجشأ وبتثاقل قام واتجه مع الثعلب إلى نادي الحيوانات، رافعا رأسه. سلم الأسد على

جمهور الحيوانات ثم وثب برشاقة على صخرة كبيرة، والقى فيهم خطابا طويلا قال فيه إن عليهم أن لا يستمعوا للشائعات التي تطلق من غابات أخرى وهدفها إثارة البلبلة بيننا، وحلف بأغلظ الايمان أن الثعلب ليس له علاقة بتلك القصة وأنها غير صحيحة أصلا، لأنه لا يحب لحم الحمير خوفا على قواه الفكرية وشجاعته المعروفة. وأبدع في وصف سوء لحم الحمار وكيف أن جده الأسد الكبير كان قد أوصاه بالابتعاد عن لحوم الحمير، وأخبر الحيوانات أن الحمار أرسل في مهمة سرية لا يمكن إطلاعهم عليها لأن سلامته قد تتضرر. قال هذا وهو يمسح على بطنه برفق، ثم اكد انه يثق بالثعلب وبوفائه وامانته. ودحضا للشائعات المغرضة التي يعلم علم اليقين أن مصدرها الأعداء، أعلن ملك الغابة أمام الحيوانات تعيين الثعلب وزيرا لشؤون التموين.

الدِّيكُ وَالْمِـرْآةُ

اِعْتَادَتْ فَاتِنَةُ أَنْ تَحْفَظَ مَلَابِسَهَا فِي صِوَانٍ (دُولَاب) بِهِ مِرآةٌ، وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ تَرَكَتْ بَابَ الْغُرْفَةِ مَفْتُوحًا، فَدَخَلَ الدِّيكُ، وَنَظَرَ فِي الْمِرْآةِ فَرَأَى صُورَتَهُ وَظَنَّهَا دِيكًا آخَرَ، فَهَجَمَ عَلَيْهِ، وَأَخَذَ يَنْقُرُ الْمِرْآةَ، لِكَيْ يَغْلِبَ الدِّيكَ الَّذِي يَرَاهُ.

فَأَسْرَعَتْ فَاتِنَةُ وَأَخْرَجَتْهُ، وَلَمَّا عَلِمَ أَبُوهَا بِذَلِكَ ضَحِكَ، وَقَالَ لَهَا:

اِحْمَدِي اللهَ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ الْكَبْشُ هُوَ الَّذِي دَخَلَ الْغُرْفَةَ، لَنَطَحَ الْمِرْآةَ بِقَرْنَيْهِ فَكَسَرَهَا، فَلَا تَتْرُكِي الْحُجْرَةَ مَفْتُوحَةً مَرَّةً أُخْرَى.

بعد أن أكملت فائقة سرد حلمها، ابتسم الطبيب وسألها قائلا: كم مرة رأيت هذا الحلم؟ وتابع بسرعة، ومتى كانت آخر مرة؟

انتظر من فائقة أن تكمل حديثها لكنها التفتت بتراخٍ إلى حيث يجلس زوجها رائق وصمتت، رفعت عينيها إلى وجه الطبيب المبتسم، تذكرت مشابك الغسيل في شقتها العلوية، سألت نفسها: ماذا يحتاج المرء ليضع على وجهه مثل هذه الابتسامة كل الوقت، أجابت: يحتاج لزوجين من تلك المشابك الخشبية ليواصل الابتسام بعيدا عما يجيش في صدره.

في رأيها أن ما سمعه الطبيب النفسي لا يدعو للابتسام، ثم إنها روت له هذا الحلم أكثر من مرة، بل ولكثير ممن حولها... صديقاتها، والدها، أخواتها، ولم يبتسم أحد، الكل أبدى تعاطفا حاراً.. الجميع قال بأسى القول المعتاد: خيراً إن شاء الله، وحدها هند أقرب زميلاتها لها اقترحت الاتصال بأحد معبّري الأحلام، تراهم يتكاثرون هذه الأيام، هند رشحت واحداً منهم يظهر في قناة فضائية حتى صار الأكثر شهرة بين النساء، لكن فائقة استبعدت

فكرة هند تماما، لأن المعبّر يطلب من كل متصلة تفاصيل دقيقة عن حياتها، وهي لا تريد تفسيرا معلنا تعلم علم اليقين أن كل نساء العائلة وزميلاتها في العمل يتصنمون أمام مفسري الأحلام، من يدري قد يقول هذا المعبر شيئا خطيرا تتلقفه إحداهن ويصبح حديث الناس، حتى هند ربما تهدف لمعرفة شيء ما... ربما.

زوجها رائق هو الوحيد الذي لم يتفاعل مع الضغوط التي تعيشها زوجته، هكذا بدا لها سبب اعتصامه بصمت خرساني، موقفه غريب، يغلق أذنيه عن سماع محاولاتها اليائسة للولوج إلى قلبه، إنه لا يكتفي بذلك بل يصرّ على طرح موضوعات أخرى يشتت بها حماسها، فتصاب بغصة في القلب، لكنها تعوّدت على شخصيته هذه منذ عرفته ليلة العرس.

كل يوم يصبح غامضا أكثر، أما إذا ما ألحت وكررت عليه الشكوى، حينئذ يسلك أسلوبا آخر للمراوغة لا يتردد في انتهاجه، وبهدوء مصطنع يروي لها أحلامه ليواجه بها حلمها المزعج، ثم ينهي النقاش بجملة حفظتها عن ظهر قلب: كلنا نصاب بالكوابيس.. لست وحدك!

تسخر من هروبه ذاك، إذا كان في هذه الدنيا شخص

لا يحلم فهو زوجها، إنه رائق حتى في نومه... في حين يصدر الإزعاج لمن حوله، سمعت كثيرا عن أنواع الشخير، المتقطع الصاعد الذي يشبه صوت انفجارات محرك سيارة قديمة، والمستمر على وتيرة واحدة عالية مثل الهدير المنبعث من مكيف شباك في غرفة صفيح، وذاك المفاجئ الصاعق مثل صوت رصاصة يمزق شفافية السكون، تعرف ذلك من شكاوى الزوجات التي تمتلئ بها أبواب صحتك في الصحف والمجلات، أما شخير زوجها فلم يصنف بعد، في كل يوم له لحن خاص، ومع كل وضع يتخذه في نومه تختلف نوتة الشخير تماما، مقطوعة جديدة، لكنها تغلبت على ذلك.. أقنعته بعد جهد كبير أن تنام وحدها، نامت هنيئا وعميقا لمدة أسبوع، ثم صار الديك يطاردها في الحلم.

هذه اللحظة يجلس رائق متخشبا على مقعد مقابل الطبيب، جسمه الضخم انحشر في المقعد الصغير، لم يكن صغيرا في الواقع لكن يبدو كذلك الآن، ظهر على وجه رائق اهتمام صامت، هكذا يبدو، إمارات يسيرة توحي بالقلق، أما إذا ما تفحصت وجهه جيدا ستجد أنه بلا ملامح إنه من ذلك النوع الذي لا يرسخ في الذاكرة، في تلك اللحظة كانت أصابع يده اليمنى لا تنفك تلهث وهي تلاحق حبيبات سبحة سوداء لامعة، وركبته اليمنى تهتز بعنف صانعة خيمة

صغيرة من ثوبه الأبيض، كأنه محصور ينتظر فرصة للذهاب إلى بيت الماء، وملتزما الصمت التام، يتنقل رأسه بين زوجته فائقة والطبيب.

ينبعث صوت فائقة محطما السكون الثقيل لتجيب عن سؤال الطبيب:

* مرات كثيرة لم أعد أتذكر عددها! هل نسيت يا دكتور؟!

غير مصغٍ لاستنكارها تابع الطبيب:

* في فترات متقاربة أم متباعدة؟

* بل متقاربة.. منذ أشهر، لم أعد أستطيع النوم يا دكتور، أرى ديكاً غاضبا في كل مكان وتهديداً بأن يتحول إلى كبش في أية لحظة.

عندما وصلت فائقة إلى هذا الحد عدل زوجها من وضع شماغه وأحسن تثبيت عقاله على رأسه، وتنهد بملل لم يحاول إخفاءه.

بعد لحظات تفحص فيها الثلاثة بعضهم بعضا، قدم لها الطبيب نصائح في فن الاسترخاء، وطرقا عديدة لجلب النوم العميق، لم ينس اقتراح قائمة أطعمة خفيفة مفضلة والابتعاد ما أمكن عن المنبهات والدهون. عندما خرجت

كلمة الدهون من فم الطبيب مثل كتلة شحم، وضع رائق يده على كرشه البارزة، لاشعوريا تذكر رائق أن وجبة العشاء الليلة في الاستراحة سيحضرها صديقه أبو حسن، تمنى رائق أن يتم تجهيز العشاء من مطعم مناسب، لكن أبو حسن هذا يعتقد أنه طباخ ماهر وهذه هي الكارثة الغذائية التي تحدث أسبوعيا، الحقيقة أنه بخيل، عند هذه الجملة وضع يده على جيبه وعاد للواقع، نظر بطرف عينه إلى الطبيب تراءت أمامه محاولاته التي لا تعد ولا تحصى لإنقاص الوزن، تساءل يا ترى هل لدى هذا الطبيب حمية سهلة وناجعة؟ طرد الفكرة من رأسه، فهو غير مقتنع به أصلا، استعاد الفكرة ومعها حكمة أبيه «لا تحقر أحد يا وليدي»، لكن في هذا الطبيب شيء غير مريح، أمر غير واضح، إنه مزعج بتلك الابتسامات التي يوزعها عليه وعلى زوجته، هل هذا جزء من العلاج النفسي؟ غير معقول! بل هي قلة حياء، يا ترى هل زوجته تبادله هي الأخرى الابتسامات بمثلها... غطاء وجهها الأسود لا يمكنه من التحقق، وعيناها لا تظهران بشكل واضح، بينه وبين نفسه يستعيذ بالله الرحيم من الشيطان الرجيم، من هذه الوساوس التي تقضم قلبه، لقد سمح لها بزيارة هذا الطبيب أكثر من مرة، الأولى قالت إن شقيقها سيذهب معها،

لم يجرؤ على سؤال شقيقها، لو سأله أي قنبلة يمكن أن تنفجر، جاءت الزيارة الثانية عندما فاجأته رائقة بموعد جديد مع هذا الطبيب وذهبت بصحبة صديقتها هند، لم يعد يتذكر هل كانت هند أم غيرها. عند الثالثة وبعد أن أكل الشك قلبه، أصر على الذهاب معها، وها هو أمام طبيب لا يجد حلا لمشكلة زوجته ويكاد يتحول هو نفسه إلى مشكلة، أضف إلى ذلك أجرته المرتفعة، الزيارة بخمسمائة ريال، وكأن لديه ينبوع الطمأنينة وأكياس النوم العميق، كل ما في الأمر أسئلة لا تنتهي وابتسامات جوفاء مثل تلك التي تظهر في الإعلانات، حتى إنه لا يصلح لهذه الأخيرة. هكذا بدا الأمر لرائق، استفاق من هاجسه على الطبيب وهو ينهض ويتحدث عن موعد بعد شهر ويناول فائقة وصفة طبية. تفحص طريقة المناولة، لماذا ناولها هي الوصفة؟ لماذا تجاهله؟ هل قصد شيئا بذلك؟ تمنى لو يلكمه ولكن..

صعد رائق إلى سيارته، بصمت جلس على مقعد السائق، اقترب بوجهه من المرآة العاكسة، وبسرعة وعصبية تلثم بشماغه الأحمر، ثم نظر طويلا إلى قاع عينيه، التفت إلى فائقة التي تجلس إلى جواره وحينما وقعت عيناه على عينيها أصيبت بالفزع.

لَا تَرْمِ قِشْرَ الْمَوْزِ

كَانَ سَلْمَانُ إِذَا أَكَلَ الْمَوْزَ أَلْقَى قِشْرَهُ عَلَى الْأَرْضِ، فَنَصَحَتْهُ أُمُّهُ أَنْ يَضَعَ قِشْرَ الْمَوْزِ فِي الصَّحْنِ، فَخَالَفَ نَصِيحَةَ أُمِّهِ، وَرَمَى قِشْرَ الْمَوْزِ مِنَ الشُّبَّاكِ إِلَى الشَّارِعِ، وَلَمَّا عَادَ وَالِدُهُ إِلَى الْمَنْزِلِ، دَاسَ قِشْرَةَ الْمَوْزِ عِنْدَ الْبَابِ، فَزَلِقَتْ رِجْلُهُ، وَسَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ وَكُسِرَتْ ذِرَاعُهُ.

فَبَكَى سَلْمَانُ لِأَنَّهُ عَصَى أُمَّهُ، وَكَانَ سَبَبًا فِي كَسْرِ ذِرَاعِ وَالِدِهِ.

قضى المعلم حسن ثلاثين عاما في سلك التدريس، أكثر من ربع قرن وهو في قرية نائية يعلّم درس المطالعة، يقرأ مع تلاميذه كل يوم حكاية من الحكايات.

«لا ترمِ قشر الموز»، غص بها أكثر من مرة، وكان لها طعم في حلقه، بعيد كل البعد عن حلاوة الموز وطراوته، في تلك القرية النائية قبل سنوات طويلة وبعد أن قرأ حكاية سلمان وقشر الموز سأله أحد التلاميذ:

ما هو الموز يا أستاذ؟

التمر كان القوت والفاكهة الوحيدة المعروفة، أما الموز فكان اللغز، ليس للتلاميذ فقط بل لجميع سكان القرية، لم يكن المعلم حسن استثناء من ذلك، سبب له سؤال التلميذ حرجا بالغا، معلم ولا يعرف الجواب.. أمر لا يجوز، بل هو عيب كبير، أخذ إصبع الطباشير وعلى السبورة التي انقلب لونها إلى الرمادي، ضغط بقوة على القطعة البيضاء راسما دوائر متداخلة ببعضها البعض، مثل دوامة، وقال للتلاميذ بحنق: هذا هو الموز!

واقتنع جميع التلاميذ بالإجابة، فهذه الدوائر لا بد أنها تزحلق كل قدم تدوس عليها، لكن بزغ سؤال جديد، فلا أحد

من التلاميذ يعلم كيف يتم أكلها كما فعل سلمان في الحكاية، لذلك عندما سأله نفس التلميذ عن طريقة أكل الموز، رد عليه المعلم حسن بمكر قائلا: أحضره وأنا أخبرك.

وعندما يذهب المعلم حسن إلى سوق الفاكهة بعد هذه المدة الطويلة، وبعد أعوام من توطين الموز وقشره، يحرص على شراء كرتون كامل من الموز، يحوي أكثر من عشرة كيلو جرامات، وكلما حمل الكرتون تذكر «لا ترمِ قشر الموز»، يتذكر منها فقط الزحلقة، لقد رأى حسن في حياته كثيرا ممن يرمون قشر الموز أمام أقدام البشر، ولم يصب آباؤهم بأي كسر لا في اليد ولا في الساق، ولم تعنفهم أمهاتهم، إنهم لا يرمونه خارج الصحن فقط بل يزرعونه مثل شراك على رخام لامع ويجعلونك بابتساماتهم تبحلق في السقف، ورغم أن رؤوسهم يابسة مثل حطب صيف إلا أنها لم تتهشم، يزحلقون الناس ولا يتزحلقون. ثلاثون عاما يحاول جاهدا نقل عمله من تلك القرية الصغيرة النائية، لكن طلبه دائما يدوس على قشرة موز ما فيتزحلق إلى ملفات الحفظ «لعدم الإمكانية»، كان حظه من الموز الزحلقة، ويتحسر وهو يرى تلاميذه وقد كبروا وشبوا وخرجوا من هذه القرية الصغيرة إلى المدن الكبيرة حيث العالم والحياة كما يخيل إليه، لِمَ لم يتزحلقوا هم أيضا؟ يتفكر..

هل تزحلقوا في ظلام ليل فلم يعلم بهم أحد، أم أنهم على حذر في كل خطوة، سوء الحظ الذي يلازمه ليس له مثيل، فهو عندما يقارن مسيرة حياته بغيره لا يجد شخصا بسواد هذا الحظ ووعورته.

الدنيا تغيرت بل انقلبت رأسا على عقب، أصبح بعض تلاميذه معلمين والأقسى على نفسه أنهم معه في المدرسة نفسها، وهو مازال يقدم العريضة تلو الأخرى طالبا النقل، وعندما يدلف إلى مركز إدارة التعليم في القرية يخيل إليه أنه يرى قشور موز كثير متناثرة هنا وهناك، على المدخل وعلى درجات السلم، قشور موز غض طري أمام مكتب مندوب التعليم، وقشر موز أصغر في مكتب السكرتير، وعندما تفجر غضبه بعد سنوات من تقديمه أول عريضة وملاحقتها بصبر وأناة، هدد بالسفر إلى العاصمة ورفع شكوى، فسخر منه كل الموظفين ومدوا له ألسنتهم فظهرت مثل قشور موز ناطقة وطويلة صفراء عليها بقع سوداء.

لكنه لم يرضخ، ذهب إلى محطة سيارات الأجرة وركب واحدة منها مسافرا إلى العاصمة، عند باب الوزارة طلب مقابلة المدير العام، جندي الحراسة قال له: اذهب إلى فوق ستجد أكثر من مدير عام، انتقِ من تريد.

وصل إلى مكتب المدير العام وأعجبته السجادة الحمراء المفروشة من المصعد إلى باب مكتبه، كان حذرا وهو يطأ عليها.

بعد ساعات من الانتظار، دخل إلى المكتب يقوده السكرتير، في زاوية المكتب الفخم كان هناك شجرة بلاستيك كبيرة وارفة الظلال، تقع أمام المدير العام مباشرة.

تهامس السكرتير مع المدير العام، فيما بقي حسن أمام الباب.

وهو يبتسم أخذه سكرتير المدير العام معه خارجا من المكتب، ثم مط لسانه للمعلم حسن، كان لسانا أصفر زلقا، أكبر قشرة موز رآها المعلم حسن في حياته، أخذته هذه القشرة الكبيرة وزحلقته إلى السجادة الحمراء بكل أدب وبشاشة.

عندما خرج من مكتب المدير العام تحولت السجادة الحمراء إلى سجادة صفراء لزجة ممتدة تزحلق منها إلى المصعد وانزلق إلى بوابة الوزارة، في الشارع تحول لون الزفت إلى أصفر مبقع بالأسود لينزلق منه إلى داخل مقعد سيارة أسرعت ما إن أقفل بابها، موز وقشر موز كثير

تراءى له وهو ينظر من نافذة السيارة، قشور الموز في كل مكان أصفر وأخضر مائل للصفرة، بعضها ينتظر الأرجل على الأرصفة، وبعض آخر يمد السنة صفراء من أبواب الدكاكين الزجاجية، وبسرعة البرق تزحلق ووصل إلى القرية، ترجل من السيارة ورأسه محشو برعب ودهشة من حجم قشر الموز في المدينة وعدده الذي لا يحصى، وقد أنهك جسده وبدأ يشعر بالآلام في عظامه. حمد الله على أن قشر الموز في القرية أصغر وأقل ولا يقارن بقشر موز المدينة.

فكر وهو يبتعد عن السيارة في محطة الوصول في حال أهل المدينة، لابد أن لكل فرد منهم قشرة موز خاصة به، لا يعرف متى يدوس عليها، وقد يدوس في لحظة فلا تجد القشرة سطحا أملس تنزلق عليه فينجو من الكسر والألم والسقوط إلى القاع.. ولو مؤقتا، هناك من يدوس عليها وهو يقول الله المستعان على الزحلقة.

لا تُفْشِ سِرًّا

كان لِعَنْزٍ جَـدْيَانِ ، فَخَرَجَتْ لِطَلَبِ ٱلطَّعَامِ ، وَأَقْفَلَتْ عَلَيْهِمَا ٱلْبَابَ ، وَأَوْصَتْهُمَا أَنْ لَا يَفْتَحَاهُ لِغَيْرِهَا ، فَجَاءَ ٱلذِّئْبُ وَقَرَعَ ٱلْبَابَ ، فَقَالَ ٱلجَدْيَانِ : مَنْ بِالبَابِ ؟

فَقَالَ ٱلذِّئْبُ ؟ عَمُّكُمَا .

فَقَالَا لَهُ : لَا نَفْتَحُ إِلَّا لِأُمِّنَا .

وَبَعْدَ مُدَّة ، عَادَ فَقَرَعَ ٱلْبَابَ فَقَالَ ٱلجَدْيَانِ : مَنْ بِـٱلبَابِ ؟

فَقَالَ لَهُمَا : أُمُّكُمَا .

فَقَالَ أَصْغَرُهُمَا : أُمُّنَا أَرْجُلُهَا بَيْضَاءُ .

فَخَرَجَ ٱلذِّئبُ ، وَصَبَغَ أَرْجُلَهُ بِلَوْنٍ أَبْيَض ، ثُمَّ عَـادَ فَقَرَعَ ٱلْبَابَ ، وَقَالَ : أُمُّكُمَا . فَنَظَرَا إِلَى أَرْجُلِهِ ، فَوَجَدَاهَـا بَيْضَاء ، فَفَتَحَا لَهُ ، فَهَجَمَ عَلَيْهِمَا ، فَهَرَبَ الأَكْبَرُ ، وَأَكَلَ ٱلذِّئْبُ ٱلْجَدْيَ ٱلْأَصْغَرَ ٱلَّذِي أَذَاعَ ٱلسِّرَّ .

فَلَمَّا عَادَتْ أُمُّهُمَا ، أَخْبَرَهَا ٱلجَدْيُ الهَارِبُ بِمَا حَدَثَ .

فَقَالَتْ عَنْ جَدْيِهَا ٱلْأَصْغَرِ : أَهْلَكَتْهُ إِذَاعَةُ ٱلسِّرِّ .

قضت أسرة العنز ليلة حزينة، العنز احتضنت جديها الكبير والوحيد، تذكرا فقيدهما الظريف،كان يملأ البيت حيوية ونشاطا، كل زاوية من المنزل الصغير تذكر بشقاوته وظرفه، ذهبت العنز إلى غرفتها، وأمرت جديها أن يأوي إلى فراشه.

أوت العنز إلى سريرها وهي تشعر بضيق وثقل في الصدر والحزن صبغ عينيها باحمرار قان، لقد استعصى عليها البكاء، استدنت هاتفها الجوّال وضعته في شاحن الطاقة، قبل ثلاثة أيام فقط اشترت هذا الجهاز الحديث، كان موديلا جديدا وصغيرا، أطلق عليه محليا اسم الطعس الأخضر، وهو سهل الحمل والاستخدام وله نغمات فريدة، ويمكن المفاخرة به وسط القطيع لستة أشهر قادمة.

تقلبت العنز كثيرا على فراشها بحثا عن النوم من دون فائدة، تناولت الهاتف الجوال وطلبت رقما عشوائيا، عندما تشعر بحرقة في الصدر تطلب العنز رقما عشوائيا، لا يهم من يكون صاحبه، المهم أن تتحدث وتفضفض بعضا مما يجيش في صدرها، تناهى إلى أذنها الطويلة صوت تيس عذب لكنها وعلى عجل أقفلت الخط في وجهه.

في الجانب الآخر كان ابنها الجدي الكبير يعاني هو الآخر من أرق وكآبة، وفجأة سمع رنين هاتف جوّال، لم يكن هناك من هاتف جوّال في المنزل الصغير سوى هاتف والدته، كان يوم لا ينسى عندما اشترته العنز الوالدة، اقترب الجدي من غرفة أمه العنز وأشرع أذنيه مثل طبق لاقط، كانت العنز الأم تتحدث باندفاع، قالت كل ما يكتمه الجدي الكبير في صدره على أنه أسرار، روت المأساة بتفاصيلها حتى أنها لم تنس ذكر أرجلها البيضاء، والجدي الكبير لا يصدق ما يسمع، هل يعقل أن تبوح أمه العنز بأسرار المنزل، ولمن؟ ألا يمكن أن يكون لذئب آخر؟ تنازعت هذه التساؤلات جمجمة الجدي الكبير، وظهرت له صورة أخية المغدور، صورة لا تنسى والذئب يختطفه ويهرب، وهو مختبئ لا يستطيع الدفاع عن أخيه الضعيف، وحكمة أمه التي وضعها تاجا على قرونه الصغيرة، عندما نبهته قائلة إن الجدي الصغير المغدور أهلكته إذاعة السر. لماذا لا يدخل عليها الآن ويحذرها من خطورة إذاعة السر؟ نعم لماذا لا يدخل ويخطف الهاتف من يدها؟ لكنها قد تغضب ثم أنها تعرف ذلك جيدا. استمرت العنز في المكالمة الهاتفية وجديها الوحيد ينتظر حابسا لوما كثيرا في قلبه، وما إن أقفلت الهاتف بعد ساعات حتى دخل عليها، تلاقت

عيونهما، وقرأت العنز أكواما من اللوم في عينيه، سألته مماذا يشكو ولماذا لم ينم؟ وهي تعلم ما في نفسه، لم يرد. بعد لحظات من الصمت، قالت العنز وكأنها تقدم له خبرا جديدا: كنت أكلم تيسا لا يعرفنا ولا نعرفه لأستشيره فيما حدث لنا، ثم أطفأت الشمعة وأوت إلى فراشها، وغطت بأذنها الطويلة عينيها.

بتثاقل عاد الجدي إلى غرفته، الهواجس تتنازعه، اضطجع طويلا وهو يفكر في ذاك التبرير غير المقنع، هل تكذب عليه والدته، لا يمكن.. لا يمكن! إنها أكثر فهما وحكمة منه، ومادام هو تيس لا يعرفنا ولا نعرفه فلن يضرنا بشيء، هكذا حزم أمره وأراح نفسه، ولأنه أرق والنوم مستعصٍ على عينيه، قام وفتح جهاز الكمبيوتر متصلا بالشبكة العنكبوتية دخل إلى موقع التيوس للمحادثة وجلس يروي التفاصيل..كيف يكون الهلاك بسبب إذاعة السر.

اَلْفَلَّاحُ وَالنَّمْلَةُ

تَكَاسَلَ فَلَّاحٌ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَأَخَذَ يَتَثَاءَبُ ، فَرَأَى نَمْلَةً تَصْعَدُ فِي جِذْعِ الشَّجَرَةِ ، وَلَمَّا قَرُبَتْ مِنْ آخِرِ الجِذْعِ سَقَطَتْ فَحَاوَلَتِ الصُّعُودَ مَرَّةً أُخْرَى فَسَقَطَتْ قَبْلَ أَنْ تَصِلَ إِلَى ثَقْبٍ فِي أَعْلَى الشَّجَرَةِ ، فَأَعَادَتِ الصُّعُودَ مَرَّاتٍ حَتَّى وَصَلَتْ فِي الْمَرَّةِ السَّابِعَةِ إِلَى الثَّقْبِ .

فَدَهِشَ الْفَلَّاحُ مِنْ جِدِّ النَّمْلَةِ وَصَبْرِهَا ، فَشَمَّرَ عَنْ سَاعِدِهِ وَنَشِطَ لِلْقِيَامِ بِعَمَلِهِ ، وَعَزَمَ عَلَى أَنْ يَكُونَ صَبُوراً مُجِدًّا كَالنَّمْلَةِ.

وقفت سبع من النمل على قوائمها الخلفية تراقب بحذر الفلاح وهو يمضي مبتعدا عن الشجرة، مشى الفلاح سبع خطوات، اطمأن النمل بعدها إلى مغادرته، تحركت النملات السبع بسرعة في قافلة صغيرة متجهة أسفل جذع الشجرة الضخم حيث بيت النمل الكبير، وما إن نفذ قائد القافلة الصغيرة برأسه من الثقب الضيق حتى ارتفعت الأصوات والهتافات من الداخل.

في تجويفات تحت الأرض كانت هناك حركة صاخبة دؤوب، شغالات النمل لا يعرفن الراحة، سلكت السبع نملات أحد الدهاليز المتعرجة الضيقة في بيت النمل، كان دهليزا ملتويا يصعد إلى أعلى وينتهي بغرفة فسيحة جلست في صدرها ملكة النمل وقد أحاطت بها مئات الشغالات، أفسحت السبع نملات الطريق لنمل كثير أخذ يدخل إلى الغرفة،كان بعضه غريبا من النمل الجار، صفقت ملكة النمل بقرنيها فدوى تصفيق حاد، في حين أحنت السبع نملات رؤوسها وهي منتشية في سعادة غامرة.

كان النمل يحتفل، وقد وضع اللمسات الأخيرة لتجهيز المكان، وبنظام ورشاقة وضعت الشغالات أمام الملكة

أصنافا من الحبوب وبقايا حشرات مختلفة، قطعا من حبات القمح والسكر، جناح ذبابة وجزءا من رجل حصان إبليس، فيما أسرعت شغالات أخريات إلى وضع صنوف أخرى أمام النمل الغريب الذي أخذ يتكاثر بعدما التقط إشارات نملية، أقبل على إثرها مسرعا.

حدّقت ملكة النمل في شغالة حمراء يقال لها أم نوبة كانت تقف وحدها في الطرف المقابل من الغرفة، ثم همست بلغة نملية دقيقة إلى نملة ذهبية صغيرة ظريفة تقف خلفها، أعطت الأخيرة إشارة إلى أم نوبة، بعدها عمّ السكون الغرفة.

وقفت أم نوبة على أرجلها الحمراء الدقيقة، وبعد أن لعقت أصابعها وجزءا من فمها تنحنحت ثم بدأت في إلقاء خطاب قالت فيه:

سيدتي الملكة..

ضيوفنا الكرام..

أيها النمل المخلص

بحمد الله أولا وأخيرا، ثم بحكمة ملكتنا الموقرة وشجاعة فريق المهمات الصعبة المرابط، فقد زال الخطر.

ضجت الغرفة النملية بالهتاف والتصفيق، فيما ظهر الحبور على وجه الملكة وهي تتحدث هامسة إلى الضيوف.

كان النمل الغريب يتساءل عن سبب الاحتفال، فالإشارات النملية التي وصلت إليه لم تكن واضحة، أول إشارة كانت تطلب النجدة من بيوت النمل المجاورة، وعندما كان الجيران يسرعون للنجدة، وصلتهم إشارات نملية أكثر هدوءا تدعوهم للحضور في أسرع وقت.

بعد أن أنهت ملكة النمل حديثها الهامس أعطت إشارة إلى أم نوبة التي فهمت الإشارة فأكملت:

ظهر هذا اليوم، ونحن منشغلات بأعمالنا والشتاء على الأبواب، سمعنا صراخا قادما من غرفة سيدتنا الملكة، تركنا كل أعمالنا وركضنا إلى الدهليز الملكي، أخبرتنا أم نوبة أن سيدتي الملكة أصيبت بصداع حاد، وأن أنفها لم يعد يشم فقد أصيب بشلل، ثم بدأ كل منا يشعر بصداع يكاد يسحق رؤوسنا، الشغالات اللاتي كن خارج البيت في تلك اللحظة سقطن على سطح الأرض وقد أغمي عليهن، وعلى الفور حضرت فرقة المهمات الصعبة ونقلت سيدتي الملكة إلى أقصى مكان آمن في المنطقة المحظورة من المنازل، وشيئا فشيئا عمت البيت رائحة نتنة عجيبة غريبة أتت على شكل موجات صفراء قوية، وعلى الرغم مما عرف

عن قبيلتنا بين النمل من دقة ورقة حاسة الشم في أنوفنا إلا أننا لم نتذكر مثل هذه الرائحة القوية والحادة، إنها لا تشبه رائحة الطعام إذا تعرض للرطوبة وأصبح زنخا قبيحا، كما أنها لا تشبه رائحة الوحش المرعب آكل النمل، صنف جديد مفزع لم نشمه من قبل، يكفي أن أقول لكم إنها رائحة مروعة، قطعت أكباد بعض منا وأغمي على بعض آخر، انتحرت عشر نملات لعدم قدرتهن على تحمل الرائحة، كانت شقيقتي واحدة منهن. عندما وصلت أم نوبة إلى هذا الجزء ترقرقت الدموع في عينيها.

تهامس النمل الغريب وبدت عليه آثار دهشة وخوف.

وضعت أم نوبة يدها على أنفها ثم تابعت السرد:

انطلقت فرقة استطلاعية من المغاوير للبحث عن مصدر هذه الرائحة القاتلة،كانت هذه الفرقة مجهزة بأقنعة شم واقية، لكنها لم تجد سوى إنسان يضطجع تحت ظلال الشجرة، يمينا ويسارا تلفت أفراد الفرقة بصعوبة فلم يشاهدوا شيئا مستنكرا، اقترب المغاوير بحذر من الإنسان وطافوا حوله، بحثوا وفتشوا بدقة وتأن في محيط قفاه، حتى أن بعض المغاوير خالف التعليمات وخلع الأقنعة الواقية، سرت همهمات ولغط بين النمل قاطعتها أم نوبة قائلة:

كما تعلمون يا معشر النمل أن البشر لا يتورعون عن قضاء حاجتهم في مكان قد ينامون فيه، وبالنسبة لهذا المخلوق المغرور فإن الخلاء كله مكان لقضاء الحاجة، إنهم يعدون الأرض ملكا لهم، حتى أن عقولنا نحن النمل لا تفهم كيف أن بعضا منهم يتبطح ويتسدح بضمير مرتاح متقلبا على منازل مخلوقات أخرى أو يلوثها بفضلاته. لكن فرقة المغاوير لم تشم إلا اثرا بسيطا، وفجأة علا صوت زئير مخيف، فكان أن اتجهت فرقة المغاوير مباشرة إلى مصدر الصوت، لم يكن المصدر بعيدا بل كان رأس الإنسان المنبطح، وما إن اقبلت حتى شاهدته يفتح فاه ويقفله ليعلو الصوت المرعب ثم هبت على فرقة المغاوير عاصفة صفراء مروّعة محملة بتلك الرائحة المنتنة، صرعت الفرقة ولم ينج من القتل سوى أحد المغاوير الذي كان يشكو من رشح حاد، أبو مشغول كان الناجي الوحيد، هرب بعد ان رأى جنود فرقة المغاوير صرعى، بل إن بعضهم خنقوا أنفسهم وحاول بعض آخر قطع أنفه، ولم تنفعهم الأقنعة الواقية وسرت شائعات أنها مغشوشة.

المهم أيها النمل المخلص عاد المغوار أبو مشغول هاربا مفجوعا ليخبرنا بهذه المصيبة.

هل نستسلم ونموت في بيوتنا؟

بالتأكيد لا وألف لا، وهكذا أصدرت سيدتي الملكة أمرا لفرقة النمل الانتحاري بالهجوم وتدمير العدو مهما كلف الأمر، وبهدوء وإيمان اتجهت الفرقة الانتحارية يرشدها أبو مشغول إلى موقع العدو العملاق والذي مازال منبطحا على بطنه، وقد اقترب فمه القاتل من أبواب منازلنا وكأنه فوهة مبيد حشري فتاك.

عند هذا الحد سمع الجميع عطسة قوية، التفتت لها رؤوس كل الحضور من النمل بخوف وقلق، كان النمل المغوار أبو مشغول يكافح آثار الرشح، بأنف محمر وقد التصق بأدب في زاوية الغرفة.

أكملت أم نوبة:

للأسف لم ينصت قائد الفرقة النملية الانتحارية لنصيحة المغوار أبو مشغول وهاجم الإنسان مباشرة، وما إن وصلت الفرقة إلى وجه العدو حتى فتح فمه بقوة فظهرت فوهة بئر أصفر تقذف بلهب من الرائحة القاتلة، عندما تنفذ هذه الرائحة من حاسة الشم تذهب مباشرة إلى دماغ النملة فيصاب بصداع مريع ثم شلل وتقيؤ مع زبد أبيض يظهر من الفم، فيعيش المصاب ألما قاسيا إلى أن يموت، هكذا ماجت الأرض بأفراد الفرقة وأبيدت على بكرة أبيها، لكن البطل أبو مشغول استطاع الهرب.

سرت همهمات وآهات على القتلى بين الحضور وأبدى النمل الغريب حزنه وألمه على المفقودين، وبالقرون تبادل النمل التعازي.

أشارت الملكة إلى أم نوبة لإكمال الخطبة.

وبحركة رشيقة طوّحت أم نوبة بقرونها إلى الخلف وبصوت دقيق أكلمت:

بعد هذه الخسائر الكبيرة في صفوفنا والخطر القابع على أبوابنا، قرر المجلس الاستشاري النملي الأعلى، الاجتماع بسيدتي الملكة للبحث عن حل لهذا الخطر الماحق، واستدعي النمل المغوار أبو مشغول للاستماع إلى شهادته الميدانية، عن حال العدو ونواياه المتوقعة، وكعادة سيدتي الملكة بحكمتها وحنكتها الشهيرة وخططها الدقيقة، فقد أصدرت على الفور أمرا باستدعاء جميع النمل المصاب بالرشح، واختارت منهم سبع نملات عينت أبو مشغول قائدا لها، وأحسنت رسم الخطة، كانت الخطة من الخطط السهلة الممتنعة، خطة ملكية، مثل حاسة شم سيدتي الملكة، ولأنه معلوم لدينا كسل الإنسان، واحتقاره لجنسنا وغروره وجشعه الذي لا يوصف، فقد استندت الخطة إلى جذب انتباهه خاصة وهو معروف بشغفه بالبحلقة ومعرفة أسرار

المخلوقات الأخرى، ثم بعد ذلك تتسلل سبع من النمل المصاب بالرشح وتقترب من محيط بصر هذا المخلوق ليتسلقن جذع الشجرة ويسقطن كل نملة لتحل الأخرى محلها، سبع مرات فقط، فهذا الأخرق لا يستطيع التمييز، ومثلما قالت سيدتي الملكة سبع مرات فقط وبعدها نهض الإنسان مصدر الرائحة القاتلة ومضى بعيدا، فعاد للهواء طيبه ونقاؤه.

علت الهتافات والتصفيق الحاد في الغرفة النملية واصطف الحضور في طابور نملي منظم لتهنئة الملكة، وفيما كان النمل المغوار أبو مشغول يمسح أنفه، تردد من بعيد صوت فأس تضرب في الأرض.

الصَّيَّادُ وَالسَّمَكَةُ

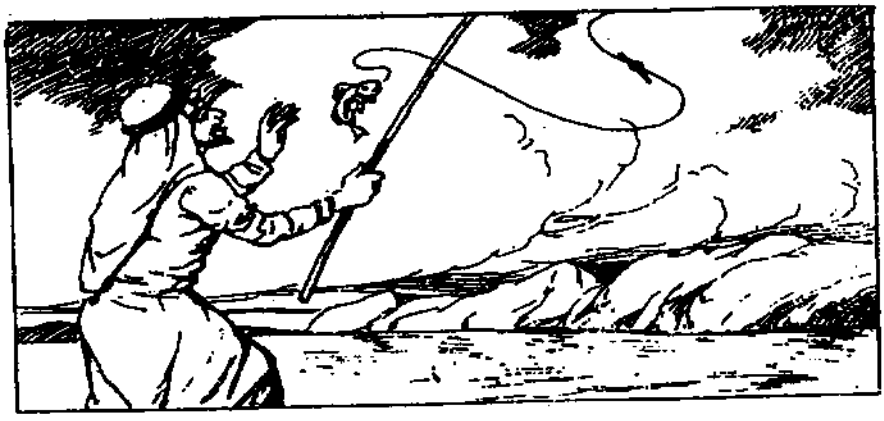

اِصْطَادَ صَيَّادٌ سَمَكَةً صَغِيرَةً ، فَقَالَتْ لَهُ : أَيُّهَا الصَّيَّادُ إِنِّي سَمَكَةٌ صَغِيرَةٌ لَا أُسْمِنُ وَلَا أُغْنِي مِنْ جُوعٍ وَلَكِنْ أَلْقِنِي فِي الْمَاءِ آتِكَ بِسَمَكَةٍ أَكْبَرَ مِنِّي وَتَتَعَشَّى بِهَا أَنْتَ وَأَهْلُكَ .

فَقَالَ لَهَا الصَّيَّادُ : دَعِي هَذَا الْكَلَامَ أَيَّتُهَا السَّمَكَةُ ، فَأَنَا لَا أُفَرِّطُ فِيكِ بَعْدَ أَنْ تَعِبْتُ فِي صَيْدِكِ ، وَالْعَاقِلُ لَا يَتْرُكُ مَا فِي يَدِهِ طَمَعًا فِي الْحُصُولِ عَلَى مَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ .

ذهب تفاؤل الصياد أدراج الرياح فما إن شاهدت زوجته وأبناؤه السمكة الصغيرة، حتى خيّم وجوم ثقيل على المنزل، بدت الزوجة الأكثر جرأة وصراحة، وبصوت يسمعه الجيران صاحت:

سمكة صغيرة لسبعة أفواه، مَن سيأكلها؟ إنها لا تكفي لإشباع الرضيع!

وعلى أهبة الاستعداد انتظر الأولاد والبنات نهاية هجوم الأم، وقبل أن تكتمل دورة أول دقيقة صمت، صاح أكبر الأبناء:

انظر إلى الجيران لقد اصطاد أبوهم سمكا كثيرا، تعال يا أبي وشاهده من النافذة إذا كنت لا تصدق؟ ألا يذهب هو لنفس البحر الذي تصطاد منه كل يوم؟

الابنة الكبرى تضرعت إلى أمها أن تخفي بقايا السمكة الصغيرة ولا تلقي بها خارج المنزل حتى لا تراها زميلاتها في المدرسة.

ضحكت الأم بسخرية وهي توجه الحديث إلى زوجها قائلة: لا تخافي يا ابنتي مثل هذه السمكة لن يكون لها بقايا.

حزن الأب كثيراً من عاصفة اللوم المنزلية العاتية التي طوّحت حتى بالسمكة الصغيرة، انقبضت نفسه، وشعر أن حجمه في المنزل أصبح في حجم السمكة التي اصطادها، وزادت جرعة الحرقة وهو يرى زوجته وأولاده يديرون له ظهورهم متزاحمين حول النافذة، يراقبون بحسد أبناء الجيران وهم يحملون سلال السمك إلى منزلهم. فيما كان والدهم منتشيا مثل طاووس يدور هنا وهناك بفخر واعتزاز.

ترك الصياد زوجته وأبناءه يتزاحمون حول النافذة وابتعد في زاوية قصية من المنزل الصغير،كان يتحدث مع نفسه قائلا: لديه شبكة كبيرة وأنا ليس معي سوى سنارة صغيرة.

نظر إلى السمكة الصغيرة، وحيدة وقد وضعت في طست لم يحركها أحد، في زاوية المنزل استدنى وسادة ووضع رأسه عليها وهو يتأوه بحسرة، كل جهده وتعبه من الصباح الباكر يذهب هباء منثورا بسبب كلمة من زوجته، لا ليس بسبب زوجته بل بسبب هذا الجار، تعوّد الصياد جذب وسادة كبيرة ووضع رأسه عليها إذا ما تعرض لمثل هذه العواصف.

أغمض عينيه ودخل في نوم عميق، وحتى وهو نائم بقيت السمكة الصغيرة تعوم في رأسه، قالت له وهي تبتسم:

ألم أقل لك؟ أنت لا تصغي؟

هبّ الصياد مذعورا وتمنى لو تعود السمكة إلى الحياة، ربما ينتهي الحوار بصورة أخرى.

عاد ووضع رأسه وهو يسمع أصوات الجيران وضحكاتهم.

عندما استغرق في النوم هذه المرة اختلف الأمر، حلم بحلم آخر، السمكة لم تكن حية بل ميتة وهو ينظف أحشاءها بسكين صغيرة، ثم يصرخ في الحلم فقد وجد خاتما ذهبيا، تماما بجوار قلب السمكة، هذه الكاذبة كانت تخفي الخاتم، لابد أنه خاتم سليمان، قال لنفسه. ثم لبس الخاتم وتمنى بيتا جديدا وظهر البيت بلمح البصر، بيت كبير بحديقة وارفة، حتى إنه أكبر من منزل الجيران، تمنى سمكا كثيرا، فهبطت في فناء المنزل الكبير شبكة صيد كبيرة مملوءة بالسمك الذي مازال يصارع متشبثا بالحياة، يا الله، هذا الخاتم السحري يحل كل العقد، يمطر بالأحلام على الأرض، لا عليك سوى التمني، ابتسم وهو نائم وتمنى

زوجة جديدة، في هذه اللحظة استيقظ على صوت زوجته وهي تهزه بعنف.

فرك عينيه بعد أن تبخر الحلم الجميل، جاء صوت زوجته وهي تقول:

ألم تسمع ماذا يقول الجيران؟

لا لم أسمع، قال الصياد.

قالت الزوجة: والد الجيران يقول إنه عندما ذهب لصيد السمك اصطاد سمكة صغيرة، وإنها طلبت منه أن يطلق سراحها وستكافئه بصيد كثير، وتركها فامتلأت شباكه بالسمك... انظر لقد أهدوا إلينا بعضا منه، انظر إلى كبر حجمه ووفر لحمه.

حاول الصياد أن يعض أصابعه فوقعت أسنانه على الخاتم، لكنه لم يكن خاتما ذهبيا.

الامي والنظارة

شَاهَدَ رجُلٌ خَطِيبَ الجُمُعَةِ يَضَعُ نَظَّارَةً على عَيْنَيْهِ كُلَّمَا خَطَبَ فِي ٱلْمَسْجِدِ ، وَكَانَ هٰذَا ٱلرَّجُلُ أُمِّيًّا ـ لا يَعْرِفُ الْقِرَاءَةَ وَٱلْكِتَابَةَ ـ فَذَهَبَ إِلَى بَائِعِ ٱلنَّظَّارَاتِ وَطَلَبَ مِنْهُ نَظَّارَةً يَقْرَأُ بِها ، فَصَارَ يُجَرِّبُ نَظَّارَةً بَعْدَ أُخْرَى ، دُونَ أَنْ يَصِلَ إِلَى نَتِيجَةٍ ، وَفَهِمَ بَائِعُ ٱلنَّظَّارَاتِ قَصْدَهُ ؛ فَقَالَ لَهُ :

أَيُّهَا ٱلرَّجُلُ : لَيْسَتِ ٱلنَّظَّارَةُ هِيَ ٱلَّتِي تُذْهِبُ عَنْكَ ٱلْأُمِّيَّةَ ، وَإِنَّمَا ٱلتَّعَلُّمُ وَحْدَهُ ٱلَّذِي يَجْعَلُكَ قَارِئاً وَكَاتِباً ، فَٱدْخُلْ إِحْدَى ٱلْمَدَارِسِ ٱللَّيْلِيَّةِ ، وَتَعَلَّمْ فِيهَا ، حَتَّى تَسْتَطِيعَ أَنْ تَقْرَأَ وَتَكْتُبَ بِدُونِ نَظَّارَةٍ ، فَإِنَّ ٱلْغَرَضَ مِنَ ٱسْتِعْمَالِ ٱلنَّظَّارَةِ هُوَ ٱلاسْتِعَانَةُ بِهَا عَلَى ٱلْقِرَاءَةِ عِنْدَ ضَعْفِ ٱلْبَصَرِ ، وَلَيْسَتْ هِيَ ٱلَّتِي تُعَلِّمُ ٱلْقِرَاءَةَ .

غاضبا خرج الرجل من عند بائع النظارات وقرر أن يستيقظ يوم غد مبكرا ليشتري شهادة دكتوراه في النظارات.

الديكُ الرُّومِيُّ

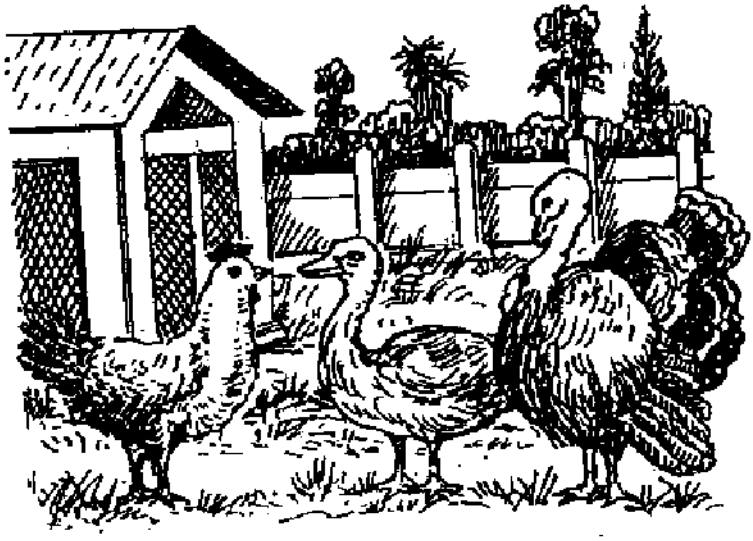

ذَهَبَ سَلْمَانُ لِزِيَارَةِ عَمِّهِ فِي عُطْلَةِ عِيدِ الْفِطْرِ ، وَكَانَ عِنْدَ عَمِّهِ كَثِيرٌ مِنَ الطُّيورِ الْمَنْزِلِيَّةِ كَالْبَطِّ وَالْوَزِّ ، وَالدَّجَاجِ ، فَكَانَ سَلْمَانُ يُحِبُّهَا ، وَيَفْرَحُ بِرُؤْيَتِهَا ، وَيَنْثُرُ لَهَا الْحُبُوبَ فَتَلْتَقِطُهَا بِمِنْقَارِهَا .

وَكَانَ بَيْنَ هٰذِهِ الطُّيُورِ دِيكٌ رُومِيٌّ كَبِيرٌ ، رَآهُ سَلْمَانُ مُخْتَالاً بَيْنَ هٰذِهِ الطُّيُورِ ، نَافِخاً صَدْرَهُ ، مُرْسِلاً جَنَاحَيْهِ ، مُرْخِياً عُرْفَهُ الْأَحْمَرَ الطَّوِيلَ عَلَى صَدْرِهِ ، نَاشِراً رِيشَ ذَيْلِهِ كَالْمِرْوَحَةِ

وَٱتَّفَقَ أَنْ أَخْرَجَ سَلْمَانُ مِنْ جَيْبِهِ مِنْدِيلاً أَحْمَرَ ، فَلَمَّا رَآهُ ٱلدِّيكُ ٱلرُّومِيُّ هَجَمَ عَلَى سَلْمَانَ يُرِيدُ أَنْ يَنْقُرَهُ بِمِنْقَارِهِ وَيَضْرِبَهُ بِجِنَاحَيْهِ .

فَتَعَجَّبَ سَلْمَانُ مِنْ ذَلِكَ وَوَضَعَ ٱلمِنْدِيلَ فِي جَيْبِهِ ، فَهَدَأَ ٱلدِّيكُ وَٱنْصَرَفَ عَنْهُ ، وَلَمَّا ٱنْقَضَتْ أَيَّامُ العِيدِ رَجَعَ سَلْمَانُ إِلَى أَهْلِهِ فَرِحاً مَسْرُوراً .

سلمان الآن موظف في شركة مساهمة، يعتمد عليه المدير العام كثيرا خصوصا عند عقد اجتماعات مجلس الإدارة. اليوم اجتماع مهم وسلمان مشغول بترتيب القاعة الكبيرة، ها هو يضع نسخة من ملف جدول الأعمال أمام مقعد كل عضو.

بقي ساعة يا سلمان، هل أحضرتم العصير والقهوة والحلويات، بتوتر واضح قال المدير العام، ثم تابع: لا تنسَ بسكويت النخالة!

ابتسم سلمان مطمئنا المدير العام ورفع بيده قطعا من ذلك البسكويت. بالإضافة إلى رئيس مجلس الإدارة

هناك سبعة اعضاء يحضرون نهاية كل شهر اجتماع مجلس إدارة الشركة المساهمة، رتب سلمان لاكثر من ستة وثلاثين اجتماعا خلال اربع سنوات، هذه الخبرة جعلته لا ينسى شيئا من طلباتهم وامزجتهم، لذلك فهو حاضر دائما، إلا انه لا ينسى ابدا ما حدث له في اول اجتماع، كلما تذكر ذلك الموقف ابتسم، وكلما حان موعد اجتماع طاف الموقف بذاكرته، فتح باب المصعد واقبل رئيس مجلس الإدارة يزفه بعض الاعضاء فيما يعوم حوله آخرون، اعتقد سلمان أنه يعرفه شخصيا، هذا الرجل البدين ذو الوجه المتورد... مؤكد أنه يعرفه حق المعرفة، ويقسم على ذلك، حتى طريقته المتارجحة المنتشية في المشي يعرفها، إسلوبه في وضع «الشماغ» المجنح بحوافه الحادة على راسه ولف «المشلح» على صدره العريض مخفيا تهدل بطنه، لم يذكر أين شاهده لكنه متاكد انه يعرف الرجل، يحرث ذاكرته مجتهدا:

هل كان جارا لهم؟

أم انه قابله في مناسبة لدى عمه الثري؟

يتذكر سلمان ضاحكا تلك الدقيقة اللزجة، همّ لحظتها أن يسلم على رئيس مجلس الإدارة قبل دخوله صالة الاجتماعات، مد يده مصافحا لكن الرئيس لم ينظر إليه،

وشاركه الأعضاء ذلك العمى المؤقت.. العمى المؤقت نوع خاص من الأمراض ينتقل عن طريق فيروس يتكاثر في بطانة الكراسي، ورغم أن هذا الفيروس يصيب مقعدة الإنسان أولا حتى يعتقد أنه سيعشش فيها، فتتضخم وتصبح عريضة أكثر من ذي قبل، لتلح مطالبة بكرسي أكبر، إلا أن هذا الفيروس سريعا ما يصعد من خلال العمود الفقري درجة، درجة، ليصل إلى الأنف الذي يتخشب مثل خطاف، ليستقر الفيروس أخيرا في العيون فتصاب بالعمى المؤقت.

عند كل اجتماع يقول سلمان لنفسه: أنا أعرف هذا الرجل، لقد شاهدته والتقينا.. لكن أين؟ يغرق في هواجسه لخطف لحظة تذكّر، أما عندما يتحدث الرئيس ويجلجل صوته الحاد في القاعة فإن ما يسترعي انتباه سلمان أكثر من غيره ذلك الاحتقان الذي يصيب «لغلوغ» الرئيس المنتفض، حتى الأعضاء الذين لا يتاح لموظف صغير مثله الاقتراب منهم، يجزم في قرارة نفسه أنه يعرفهم معرفة لصيقة.

هذا الأمر تحوّل إلى لغز محير يطفو كل شهر مغيّبا كل ما عداه، وفي كل اجتماع يتحول سلمان إلى رجل خفي.. ظل فقط، وهو واقف خلف الجالسين، لا أحد يعرف

اسمه منهم، وعندما يريد الرئيس شيئا يتطلع مثل من اكتشف ظلا جديدا وغريبا قائلا باستنكار: من هذا؟ وأحيانا يكون السؤال ما هذا؟ فيفهم صاحبنا وينصرف مباشرة لتحقيق المطلوب، من دون إجابة عن السؤال.

انتهى الاجتماع، سلم الأعضاء بوقار مهيب مودعين رئيس مجلس الإدارة. ركض المدير العام تقوده سبابته ليضغط بها على زر المصعد، وفيما يرافق الرئيس والأعضاء إلى سياراتهم، يقف سلمان مستعرضا إياهم وهم يعومون أمامه.

أصبحت عادة أنه عندما يطل وجه رئيس مجلس الإدارة يتحول المدير العام إلى زنبرك مضغوط، فتتقافز الأحجية مثل دوامة مسيطرة بؤرتها في رأس سلمان.

بالذات رئيس مجلس الإدارة.. وعندما يعود المدير العام من وداع الرئيس، ولمدة شهر مقبل، لا يشك سلمان للحظة أنه يعرف رئيس مجلس الإدارة حق المعرفة، بل إن سلمان يشعر أنها معرفة قديمة ومنذ أيام الطفولة رغم فارق السن بينهما، ولكنه لا يتذكر أين ومتى كانت بداية معرفته المعمّقة برئيس مجلس الإدارة ذي «اللغلوغ» المميز.

في يوم من الأيام حانت ساعة فك اللغز، ناول المدير

العام سلمان صورة جماعية ملونة لمجلس إدارة الشركة، وطلب منه وهو يدير له ظهره تزويد مكتب العلاقات العامة بها اليوم، مُشدداً، وهو يسير مبتعداً، على تسليم الصورة اليوم لتتصدر التقرير السنوي للشركة، وبصوت منفوش تابع المدير: قل لهم لابد أن أطلع على المسوّدة النهائية هذا الأسبوع!

أخذ سلمان الصورة وتفحصها متبسما ثم وضعها على مكتبه، تناول سماعة الهاتف ليتصل بالعلاقات العامة، لم يرد أحد، عند نهاية الدوام أخذ سلمان الصورة الملونة معه ليقدمها مساء إلى مكتب العلاقات العامة. في المنزل وبمحض الصدفة رأى شقيقه الصغير الصورة، وبعد تفحص الوجوه المبتسمة، سأله ببراءة الأطفال:

من هذا الذي يشبه الديك الرومي؟

لحظتها صرخ سلمان مثل ملدوغ قائلاً: الله ينور عليك، وجدتها.

اَلْقِرْدُ وَالنَّجَّارُ

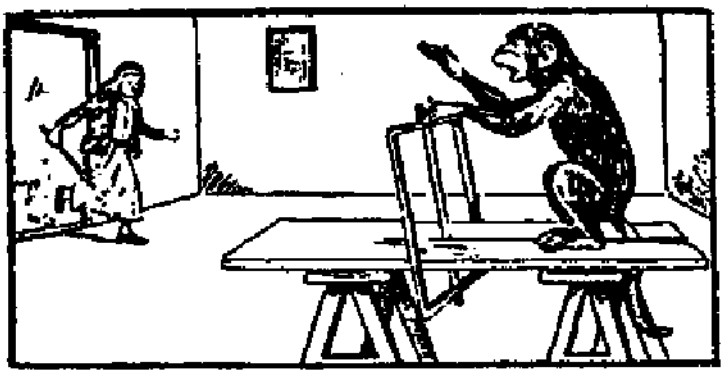

رَأَى قِرْدٌ نَجَّاراً يَنْشُرُ لَوْحاً مِنَ الْخَشَبِ ، فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ . فَلَمَّا ذَهَبَ النَّجَّارُ لِقَضَاءِ بَعْضِ حَوَائِجِهِ ، أَحَبَّ الْقِرْدُ أَنْ يُقَلِّدَهُ ؛ فَوَثَبَ إِلَى اللَّوْحِ ، وَأَخَذَ يَعْمَلُ كَالنَّجَّارِ فِي شَقِّ الْخَشَبِ . فَتَدَلَّى ذَنَبُهُ فِي الشَّقِّ . ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ وَنَزَعَ الْوَتِدَ ، فَانْطَبَقَ الشَّقُّ عَلَى ذَنَبِهِ ، فَصَاحَ مِنْ شِدَّةِ الْأَلَمِ .

وَلَمَّا رَجَعَ النَّجَّارُ وَرَآهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ ، تَنَاوَلَ عَصَاهُ وَضَرَبَهُ بِهَا ضَرْباً شَدِيداً .

وَهَذَا جَزَاءُ مَنْ يَتَدَخَّلُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ .

ثلاث ساعات كاملة والنجار يتفنن في ضرب القرد، على الرأس والظهر والأطراف، طالت عصا النجار كل جزء من جسد القرد وعلا صراخ الأخير مغطيا وجهه بيديه من غير فائدة، استمر النجار يضربه حتى كلّ متنه، أخيرا أخذ يرفسه برجله، بعد أن تعب النجار بصق عليه ثم أغلق دكانه جيدا وخرج.

من فرط ألم الضرب نسي القرد وجع ذيله المحشور، خيّل إليه لأول خطرة أن ذيله لم يعد معه، أنه لا يشعر به ومع ذلك لا يستطيع الحركة، هناك شيء يقيده، بجهد وإعياء تلمس القرد فوجد أن ذيله مازال محشورا في شق اللوح، حاول القرد الفكاك من شق اللوح الذي يضغط بقوة على الذيل، لكن قواه الخائرة لم تساعده، بعد سويعات انتبه القرد على صرير الباب وهو يفتح، دخل النجار ومعه مجموعة من الناس تسبقهم أصواتهم المرتفعة، كانوا أكثر من عشرة أفراد يحملون عصيا وسواطير وأسياخا حديدية، وبرفقتهم عدد من الأطفال والنساء، استدارت المجموعة حول القرد المذهول.

أومأ الجزار البدين بساطور معه وقال إنه يعرف هذا

القرد إنه لص اللحوم الذي يسرق دائما قطع اللحم من حانوته.

ولكن القرد لا يأكل اللحوم.. علق أحد أفراد المجموعة.

هز الجزار رأسه الخبير وأكد أن القردة بالفعل لا تأكل اللحوم إلا هذا النوع من القردة.

همّ السباك بالتحدث ثم أغلق فمه، وبأنف يشبه البامية تدخل بائع الخضار قائلا: لابد أن هذا القرد مسؤول عن اختلاس الخضار تعلمون كثرة ما سرق من بضاعتي، انظر إلى شحمه ولحمه كلها من عرق جبيني.. هذا القرد اللص.

تقدم السباك وهمّ بالحديث وما إن استدارت إليه الرؤوس حتى أغلق فمه مرة أخرى وتراجع إلى الخلف.

الإسكافي الناحل هو الآخر اشتكى من أنه لم يعد لديه زوج واحد من الأحذية، ولوّح بسكين رهيفة في الهواء والشرر يتطاير من عينيه وبصوت اجتهد ليبدو قويا قال:

من يسرق فردة حذاء واحدة دائما، من يفعل مثل هذا سوى قرد خبل لا يفقه أن الأحذية لا ينتفع بها إلا أزواجا.

صاحت إحدى النسوة متهمة القرد بخطف ملابس

أطفالها من سطح المنزل. اتضح للجميع أن هذا القرد اللص هو سبب كل المشاكل التي تعاني منها القرية.

براحة يده العريضة مسح الجزار على كرشه الخبيرة، أغمض إحدى عينيه وتفحص بالأخرى جسد القرد، خمن أن وزن لحمه الصافي قد يصل إلى خمسة عشركيلو جراما، لمعت عيناه وابتسم.

نظر الإسكافي إلى الجمع المحتشد، صرف نظره عن الوجوه والعيون وبحلق في أرجلهم، فكر لو أنه ربط هذا القرد بجوار مصطبته لربما نظر الناس إلى أسفل أكثر.

قطع النجار حبل الصمت وطرح سؤالا على الجميع قائلا: ماذا نفعل به.. هل نقتله؟

ساد الهرج المكان وبدأ الصبية بقذف القرد بالحجارة. وبكرشه المستدير تدخل الجزار وبصوت مرتفع اقترح تأجيل الأمر إلى الصباح، استحسن الجميع اقتراح الجزار وانهالت النصائح من كل جهة تنبه النجار لئلا يهرب القرد.

ضحك النجار مطمئنا الحشد وهو يجر الذيل الحبيس بقسوة صرخ معها الحيوان الأسير، تعالت الضحكات والصيحات.

انتظر النجار إلى أن خرج الحشد ثم أقفل باب

حانوته، هز الباب بعنف ثلاث مرات ليتأكد من متانة القفل وغادر إلى منزله.

وسط الظلام تصاعدت أنفاس لاهثة، كان القرد يحاول جاهدا تخليص ذيله المحشور في شق اللوح، وكلما فتر حماسه وأضناه التعب تذكر ساطور الجزار وعصا النجار، بعد ساعات من المحاولات المستميتة وصل القرد إلى نتيجة مؤلمة، قرد حي من دون ذيل أفضل من قرد ميت بذيل، قرر القرد المسكين قطع ذيله والهرب بحياته، كان المنشار غير بعيد عنه، أخذه وأغمض عينيه، تلمس بيده إذا كان بالإمكان الإبقاء على جزء من الذيل، لم يعثر على شيء يذكر، ومع أول ضربة من أسنان المنشار بدأت الدماء بالنزف، عاضا على شفتيه بقوة استمر القرد حتى أتم قطع ذيله تماما، قذف بالمنشار بعيدا.

بعث الخوف في جسده قوة كبيرة، قفز القرد إلى نافذة صغيرة، حشر نفسه داخلها حتى تمكن من الخروج، تاركا خيوطا وبقعا من الدماء.

لاهثا استمر القرد في القفز من سطح إلى جدار فغصن شجرة إلى أن وصل إلى مزرعة صغيرة منعزلة على أطراف القرية، اختار منها فرع شجرة متينا ومرتفعا، قرر أن يستريح ويداوي جراحه.

استيقظ القرد على صياح الديكة، فتح عينيه والضياء يطرد الظلام عن سماء القرية، ومن فرع الشجرة تطلع القرد مكتشفا المكان تحته.

كان القرد يعتلي شجرة وسط بستان صغير، في زاوية منه عدد من الخراف الكسولة، وفي طرف آخر أصناف شتى من الطيور الداجنة، بط ودجاج وإوز وطواويس.

اطمأن القرد إلى عدم وجود بشر، انسل بهدوء هابطا من على جذع الشجرة، جمع بعض أوراق الأشجار وعجنها بكتلة من الطين، صنع منها لبخة وضعها على ذيله، شعر بارتياح لم يدم طويلا ففجأة فتح باب البستان، وبسرعة تسلق القرد إلى أعلى الشجرة مختبئا.

دخل ثلاثة رجال إلى البستان وتوجهوا إلى زريبة الخراف، بدا أن السمين منهم معروف للقرد، فحص الرجال الثلاثة عددا من الخراف، كان السمين يجس ذيل كل خروف بعناية وتدبر، كأنه يزن الذيل براحة يده، فكر القرد لو استطاع تحذير الخراف ولكن هيهات. اختار الرجال الثلاثة خروفا سمينا وسحبوه معهم خارجين.

في الطرف الآخر من البستان نشر أحد الطواويس ذيله الجميل، برقت روعة ألوانه مع خيوط الشمس الأولى، تبعته الطواويس الأخرى في لوحة بديعة لم تغب عن عين القرد، تطلع بحسرة إلى ذيله المقطوع وطرأت في رأسه فكرة خبيثة.

بهدوء ماكر قبض القرد على أكبر الطواويس، أغلق فمه بيد واستل بالأخرى ثلاث ريشات من ذيله الجميل، ثم أطلقه وقفز إلى جوار بركة ماء، نظف القرد ذيله من آثار الطين، وعجن كتلة طين جديدة وضع فيها بعض الجذور ثم كور عجينة الطين حتى استدارت، غرس في حافتها ريش الطاووس بتوزيع متقن، ثم وضعها بعناية على ذيله المقطوع ابتسم وهو ينظر إلى ذيله الجديد كان ذيلا مختلفا.

في الصباح الباكر وصل القرد إلى القطيع، استقبلته صيحات الاستهجان لكنه لم يأبه بها بل نفخ صدره ومشى بخيلاء، بعد قليل خفت أصوات الاستهجان، وأقبلت بعض القردة عليه، لم يسمح القرد الطاووس لأحد من القطيع بالاقتراب من ذيله الجديد، تجوّل بينهم بفخر واعتزاز بذيل منتصب إلى أعلى، تزايد عدد المعجبين به داخل القطيع، التفوا حوله إناثا وذكورا وفي كل يوم تزداد أعدادهم، أما

القرد الطاووس ففي كل ليلة يحرص على صنع عجينة طينية طرية أكثر تماسكا لذيله الجديد.

الفهرس

الإهداء ٥

مقدمة لابد منها ٧

القطّتان والقرد ١١

المأكولات القذرة ١٥

من يعلّق الجرس ٢٥

الغلام والكلب ٣١

الغراب والثعلب ٤١

الرفق بالحيوان ٦٣

البخيل وقرده ٧١

المرأة والدجاجة ٧٧

صداقة الثعلب ٨٥

الديك والمرآة ٩١

لا ترمِ قشر الموز ٩٩

لا تُفشِ سرّاً ١٠٥

الفلاح والنملة ١٠٩

الصياد والسمكة ١١٩

الأمي والنظّارة ١٢٥

الديك الرومي ١٢٧

القرد والنجار ١٣٣

الفهرس ١٤١

يضع الكاتب السعودي الساخر عبد العزيز السويّد الأجيال الممتدة ما بين بدايات التعليم النظامي وجيل اليوم أمام تجربة جديدة في كتابه هذا حيث يُعيد تحريض ذاكرة جيل مضى أخذتهم حكايات مادة المطالعة آنذاك لفضاءآت الخيال الواسع وكأنه يقول من يعيد لنا تفاصيل صغيرة عشنا بها حياة نقيّة كانت القيم الأخلاقية تسبق التطلعات نحو المادّة بكل مكوناتها.

لقد تماهى الكاتب مع نصوص كُتب المطالعة السعودية للصفوف الإبتدائية الأولى في فترة رابطاً تلك الحكايات بالأوضاع الإجتماعية الحالية.

ردمك ٩-٩٣١-٤٤-٩٩٦٠

03/662372